جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنين - بالقاهرة
قسم أصول الدين

فلسفة الحزن

«دراسة تحليلية»

إعداد

محمد على منصور مزروعة

المدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين - بالقاهرة

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـــــد

إنَّ الله سبحانه وتعالى خلق النفس الإنسانية وسواها في أحسن تقويم، وأودع فيها مجموعة من المشاعر والانفعالات ، تتجلى في ما يطرأ عليها من تغيرات فسيولوجية داخلية ، وتعبيرات جسمية خارجية .

وإذا كانت المشاعر والانفعالات هي المسؤولة عن الحالة النفسية والمزاجية للإنسان ، فمن المهم للشخص أن يكتسب مهارات التعبير عن هذه الانفعالات بطريقة إيجابية .

ومن بين تلك المشاعر المستقرة في النفس ، وهذه الانفعالات المتوطنة ، شعور الحزن الذي يصيب الإنسان بين الحين والآخر؛بسببِ الدواخل والعوارض المصاحبة له ، ويُعَدُ من الانفعالات ذات العواقب الوخيمة ، التي تسبب الكثير من الأمراض العضوية والنفسية ، خاصة وأن كثيرًا من الناس ليس لديهم من الوعيِ والتصوُّر لهذا الشعور ، ما يجعلهم يحسنون فهمه ويجيدون التعامل معه في حدود الفهم الصحيح المشروع .

ومن الحكمة الإلهية ، واللطائف الربانية ، أن جعل هذا الانفعال من المشاعر

التي تتناوب في التفاعل مع الإنسان على وجه العارض لا على وجه الديمومة ، وإلا لهلك الإنسان بدوام الحال، فما هو إلا ألم يلحق بالنفس؛ ولهذا لم يأت في القرآن الكريم إلا منهيًا عنه.

ولقد اهتم الدين الإسلامي بالجانب النفسي، وأولى القرآن الكريم تلك القضية عناية خاصة، وهذا ما دفع علماء المسلمين إلى الاهتمام به خاصة وبعلم النفس عامة، فكان لهم إسهامات قيمة في الدراسات النفسية أثرت تأثيرًا كبيرًا في الفكر الغربي.

ولما كان الحزن من أكثر الأمراض النفسية انتشارًا ، فقد دعت الحاجة دراسته- لمعرفة: الأسباب الحقيقية للحزن، وموقف الإسلام منه، وآثاره على الإنسان، وكيف عالجه الإسلام- وكان ذلك تحت عنوان:﴿فلسفة الحزن دراسة تحليلية﴾.

* سبب اختيار هذا الموضوع .

لقد كان وراء اختياري لهذا الموضوع بواعث ودوافع كثيرة تآزرت وتعاونت على دفعي لاختياره، أهمها :

أولاً : كشف اللثام عن الأسباب الحقيقية وراء سقوط المرء فريسة في شباك الأحزان.

ثانياً : الرغبة في بيان براعة الدين الإسلامي وتفوقه في مساعدة الإنسان وتخليصه من داء الحزن الخبيث.

ثالثاً : التنبيه على خطر الانفعالات – خاصة الحزن- على حالة الإنسان النفسية والجسدية .

رابعًا : التعرف على آراء واتجاهات وتشخيصات مختلفة - في هذه الحالة - وسبل الخلاص منها.

خامسًا : تكوين صورة صحيحة عن الإنسان وحياته النفسية في التراث الإسلامي.

سادسًا : محاولة إيجاد دراسات جديدة في علم النفس ذات توجه إسلامي.

سابعًا : يبرز هذا البحث فضل السبق لعلماء المسلمين على الحضارة الغربية التي قامت ونهضت على أساس من جهود هؤلاء، ليس في علم النفس فحسب، بل في جميع فروع المعرفة الإنسانية.

*** المنهج المتبع في هذا البحث :**

إن المنهج هو: الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة (١) .

ولما كان المنطق يدرس صور الفكر وطرق الاستدلال السليم، فقد استخدم "المنهج الاستنباطي"الذي فيه ينتقل الباحث من المقدمات إلى النتائج.

---

(١) مناهج البحث العلمي، الدكتور/ عبد الرحمن بدوى، صـ٥، طبعة سنة ١٩٦٣م، دار النهضة العربية، مصر.

وأسس هذا المنهج الجوهرية هي التعريفات؛ لأن الباحث يبدأ بتحديد معاني الألفاظ المستخدمة في بحثه، ودائمًا ما يتطلب هذا المنهج استخدام المناهج التالية:

أ - المنهج الوصفي:ويهدف هذا المنهج إلى وصف الظواهر وصفًا دقيقًا، محددًا خصائصها كيفًا وكمًا، مهتمًا بماضيها وحاضرها ومستقبلها (١) وهذا المنهج هو القائم بتحقيق وتقديم دراسة علمية للظواهر دون أن يتدخل في حدوثها، باعتباره المختص بدراسة الوضع الراهن ومحاولة تفسير هذا الوضع .

ب- المنهج التحليلي:الذي يعنى بتفسير النصوص والآراء الخاصة بالموضع، وتحليلها تحليلًا دقيقًا يجلو الغموض عنها.

ج- كما استخدم الباحث المنهج الذاتي أو الاستبطاني: وهو يقوم على التأمل الباطني أو الملاحظة الداخلية، ويعتبر أقدم مناهج علم النفس وأهمها؛ لكون الحالات الشعورية داخلية لا خارجية مادية، يختبرها الفرد بنفسه، ويحس بها إحساسًا مباشرًا (٢) فجوهر هذا المنهج هو الملاحظة الذاتية، حيث يقوم الفرد بملاحظة ذاته، وينقسم في ذات الوقت إلى ملاحظ وملاحَظ، فهو الذي يرصد ما يدور بداخله من أفكار ومشاعر وانفعالات، وهو الذي يحدثنا عنها .

---

(١) مناهج البحث الفلسفي، الدكتور/ محمد أحمد مصطفى السرياقوس، صـ٢٦، طبعة سنة ١٩٩٥م، دار الثقافة للنشر، القاهرة.

(٢) مناهج البحث في علم النفس، الدكتور/ حلمي المليجي، صـ٣٩، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م، بيروت – لبنان.

هذه هي المناهج المستخدمة في البحث، أما عرض هذا الموضوع ومعالجته فكان على النحو التالي:

يدور محور هذا البحث في الدرجة الأولى حول ما يعتري الإنسان من أحزان، وأن ثمة عوامل هي المسئولة عن ذلك، يجب الخلاص منها.

وحول هذه الفكرة قامت دعائم هذا البحث، لتثبت آراء علماء المسلمين في هذه القضية، وما جاء به الوحي الشريف، وكيفية تخليص الإنسان من مشاعر الحزن والكآبة، وذلك في جد وتركيز وتسلسل وترابط، كمقدمات منطقية ضرورية لهذه النتيجة.

فالفصل الأول وهو يتحدث عن ماهية الحزن، وتعريفاته المختلفة عند علماء المسلمين على اختلاف آرائهم واتجاهاتهم، يحمل في طياته ما يدلل على المعنى الحقيقي للحزن عند الفلاسفة وعلماء النفس والصوفية، كما يتناول التمهيد شرح وتفصيل للأوصاف والمرادفات المختلفة لكلمة حزن، والفروق اللغوية بينهم، ثم تصنف هذه الحقول الدلالية حسب قوتها وعمقها، وتأثيرها في النفس، من الأدنى إلى الأعلى.

أما الفصل الثاني، فالمبحث الأول فيه يميط اللثام عن حوافز وبواعث انفعال الحزن والأسى؛ لأن كل ألم لا يعرف سببه لا يرجى شفاؤه، كما يقول فيلسوف العرب"أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي" في رسالته "الحيلة لدفع الأحزان"أما موقف الإسلام من هذا الداء، فهو محور المبحث الثاني، وموقف

الإسلام يتجلى من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومن خلال العقل والمنطق، والفطرة السليمة، فهذه الأمور هي الميزان الذي تعتمده هذه القضية؛ لأنها ميزان عام، وشامل لا يختص بدين دون آخر أو بقوم دون سواهم، بالإضافة إلى ذلك هي في إمكان الباحث استخدامها، وهى ملزمة للجميع، فلا يعارض فيها إلا جاحد معاند، والمعاندون لا وزن لهم.

فمن الذي ينكر العقل؟ وهو الملكة المميزة المدركة التي امتن الله بها على الإنسان لكي يدرك به الحق ويميز به الخبيث من الطيب؟ ومن الذي ينكر المنطق وهو الذي يخاطب الفكر؟وبمساعدة قواعده، وقضاياه، ومقدماته يصل الإنسان إلى النتيجة الصحيحة.

ومن الذي ينكر الفطرة، وهى القوة المدركة للحق ؟ فهي النور الرباني الذي يقذفه الله في قلب الإنسان، وهى السر الإلهي الذي فطر الله الناس عليها، فإذا لم تلوث هذه الفطرة أدرك الإنسان الخير والحق واجتنب الباطل.

أما الفصل الثالث، فالمبحث الأول يرصد الظواهر والآثار التي يسببها الحزن، ومدى تأثيرها على حالتي الإنسان النفسية والجسدية، وهنا يأتي دور العلاج ليسجل لنا المبحث الثاني ما جاء به الإسلام من علاج قبل الإصابة بهذا الداء وبعدها، ليكفل للبشرية كلها الاطمئنان والسعادة، ويؤكد على سبقه – بدستوريه القرآن والسنة، وعلمائه الكرام – كل النظريات والفلسفات التي جاء بها علماء النفس.

أما الخاتمة فقد تضمنت خلاصة ما توصل إليه البحث من نتائج.

ولدراسة هذا الموضوع دراسة عميقة ومركزة في ضوء هذا المنهج قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

فأما المقدمة والتي نحن بصددها فتتكون من أسباب اختياري للموضوع وأهميته، والمنهج المتبع فيه وخطة البحث.

وأما الفصل الأول فعنوانه: ماهية الحزن وتفصيل أوصافه.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الحزن لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: تفصيل أوصاف الحزن.

الفصل الثاني: أسباب ودوافع الحزن، وموقف الإسلام منه.

ويتكون هذا الفصل من مبحثين:

المبحث الأول: أسباب ودوافع الحزن.

المبحث الثاني: موقف الإسلام من الحزن.

الفصل الثالث: أعراض الحزن وآثاره، وعلاج الإسلام له

ويتكون هذا الفصل من مبحثين:

المبحث الأول: أعراض الحزن وآثاره.

المبحث الثاني: علاج الإسلام للحزن.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث وفوائده.

هذا ولا يسع الباحث إلا أن يردد مع نبي الله سليمان عليه السلام قول ربنا تبارك وتعالى : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١) .

(١) سورة النمل، الآية:١٩.

الفصـــــل الأول
ماهيـــة الحـــزن وتـفصـــيل أوصافـــه

ويتكـون من مبحثين

المبحـث الأول : تعريف الحزن لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني : تفصـــيل أوصـــاف الحـــزن.

الفصـــل الأول
ماهيـــة الحـــزن وتفصـــيل أوصافـــه

المبحـث الأول : تعـريف الحـزن لغـة واصطلاحـاً .

أولًا : تعريف الحزن لغة :

وردت مادة "حزن" وما يشتق منها في اثنين وأربعين موضعًا من القرآن الكريم (١)(٢) منها سبع وثلاثون موضعًا على صيغة المضارع، وفي خمس مواضع

---

(١) منها خمس وعشرون في آيات مكية، وسبع عشرة موضعًا في آيات مدنية، ووردت بصيغة"تحزن" في سبع سور: (التوبة:٤٠-الحجر:٨٨-النحل:١٢٧- طه:٤٠-النمل:٧٠-القصص:١٣- العنكبوت:٣٣) وبصيغة"تحزنوا" في ثلاثة مواضع: (آل عمران : ١٣٩ ، ١٥٣ - فصلت : ٣٠) وبصيغة " تحزنون " في موضعين : (الأعراف : ٤٩ -الزخرف : ٦٨) وبصيغة " تحزني" في موضعين : (مريم : ٢٤ – القصص : ٧) وبصيغة " لِيَحْزُنَ " في موضع واحد : (المجادلة : ١٠) وبصيغة " يحزنك " في ستة مواضع : (آل عمران : ١٧٦ – المائدة : ٤١ – الأنعام : ٣٣ – يونس : ٦٥ – لقمان : ٣٣ – يس : ٧٦) وبصيغة " يحزن " موضع واحدة : (الأحزاب : ٣٣) وبصيغة " ليحزنني" في موضع واحد : (يوسف:١٣) وبصيغة "يحزنهم " في موضع واحد:(الأنبياء:٢١) وبصيغة "يحزنون" في ثلاث عشرة سورة: (البقرة : ٣٨،٦٢، ١١٢،٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧- آل عمران : ١٧٠- المائدة : ٦٩ – الأنعام : ٤٨ – الأعراف : ٣٥ – يونس : ٦٢ – الزمر : ٦١ – الأحقاف : ١٣) وبصيغة المصدر "الْحُزْنِ" في موضع واحد : (يوسف:٨٤) وبصيغة "حزني" في موضع واحد: (يوسف:٨٦) وبصيغة "الْحَزَنَ" في موضع واحد: (فاطر:٣٤) وبصيغة "حزنًا" في موضعين : (التوبة : ٩٢ – القصص : ٨)

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، طبعة سنة ١٣٦٤ هـ ، دار الكتب المصرية .

على صيغة المصدر، وقد جاءت صيغ المضارع على أسلوبي النفي والنهي؛ لتعطي دلالة الكراهية والتحذير في الحاضر والمستقبل، مع العلم بأن النهي هنا ليس على حقيقته؛ لكون الحزن لا يحصل بالاختيار، وإنما المقصود في مثل قوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ (١) وقوله سبحانه : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ (٢) إنما هو النهي عن التعاطي والركون إلى أسبابه وإلى ما يورثه ويكسبه (٣).

أما ما جاء من هذه المادة على المصدر، فإنما يدل على مطلق الحزن، كقوله تعالى : ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥) وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ (٦) وقوله تعالى : ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ﴾ (٧) وقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ

---

(١) سورة آل عمران، الآية:١٣٩.

(٢) سورة الحجر، الآية:١٢٧.

(٣) انظر المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، صـ٢٣١، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت– لبنان.

(٤) سورة التوبة، الآية:٩٢.

(٥) سورة يوسف، الآية:٨٤.

(٦) سورة يوسف، الآية:٨٦.

(٧) سورة القصص، الآية:٨.

أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١) .

والحُزْنُ والحَزَنُ: لغتان إذا ثقّلوا فتحوا، وإذا ضمّوا خفّفوا، يقال: أصابه حَزَنٌ شديدٌ، وحُزْنٌ شديد ، ويقال: حَزَنَني الأمرُ يَحْزُنُني فأنا محزون... إذا جاء الحَزَنُ منصوباً فَتَحوه، وإذا جاء مكسوراً أو مرفوعاً ضَمَّوه، قال الله عز وجل : ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا ﴾ (٣) وقوله عز وجل : ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (٤) ضَمُّوا الحاءَ هنا لكَسْرة النون، كأنّه مجرور في استعمال الفعل، وإذا أفردُوا الصَّوْتَ والأمْرَ قالوا: أمْرٌ مُحزن وصَوْتٌ محُزن ولا يقال: حازن (٥) .

والحُزْنُ: نقيضُ الفرَح وهو خلافُ السُّرور، وقد حَزِنَ بالكسر حَزَنًا وتحازَنَ وتحَزَّن ورجل حَزْنانٌ ومِحْزانٌ، شديد الحُزْنِ وحَزَنَه الأَمرُ يَحْزُنُه حُزْنًا وأَحْزَنَه فهو مَحْزونٌ ومُحْزَنٌ وحَزِينٌ وحَزِنٌ ... والحَزْنُ المكانُ الغليظ وهو الخَشِنُ والحُزونةُ الخُشونة (٦).

---

(١) سورة فاطر، الآية:٣٤.

(٢) سورة يوسف، الآية:٨٤.

(٣) سورة التوبة الآية ٩٢.

(٤) سورة يوسف الآية ٨٦.

(٥) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، جـ١صـ٣١٣،تحقيق الدكتور/ عبد الحميد الهنداوي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م-٣١٣٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٦) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، جـ١٤ ص١١١، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت- لبنان.

وحَزَنه لغةُ قُرَيش، وأَحْزَنَه لغة تَميم، وقُرئ بهما، والحَزْن: ما غَلُظ من الأَرض وفيها حُزُونة [١].

يقول الإمام الراغب [٢]:" الحُزْن والحَزَن : خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغمّ، ويضادّه الفرح" [٣].

ثانيًا : تعريف الحزن اصطلاحًا .

والحُزْنُ اصطلاحًا: هو عبارة عما يحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي [٤] وهو أيضًا: غمٌ يُلحق من فوات نافع أو حصول ضار [٥].

---

(١) مختار الصحاح، الرازي، صـ٧٢، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ه، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت.

(٢) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب أديب من الحكماء العلماء من أهل أصفهان سكن بغداد، واشتهر حتى كان يُقرن بالإمام الغزالي، له مؤلفات عديدة توفى سنة ٥٢هـ- ٦٧٤م.(الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزر كلى، جـ٢ صـ٢٧٩، الطبعة السابعة مايو سنة ١٩٨٦م، طبعة دارا لعلم للملايين؛ وراجع في ترجمته سيرة أعلام النبلاء، الإمام /الذهبي، جـ١٣، صـ١٢١،١٢٠، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقوسى، الطبعة السابعة سنة ، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، مؤسسة الرسالة)

(٣) المفردات في غريب القرآن، صـ٢٣١.

(٤) التعريفات، الجرجاني، صـ٨٦، تحقيق/ جماعة من العلماء، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ- ١٩٩٨م،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٥) الكليات، لأبي البقاء الكفوي، ص ٦٧١، تحقيق/ عدنان درويش ومحمد المصري، طبعة سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة.

وقال الإمام المناوي [١] : "والحُزْنُ بالضم، الغم الحاصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي ويضاده الفرح" [٢] .

وقال الإمام ابن القيم [٣] : " هو انخلاع عن السرور، وملازمة الكآبة لتأَسف عن فائت أو توجع لممتنع، وهو من منازل العوام لأن فيه نسيان المنة، والبقاءَ في رق الطبع، وهو في مسالك الخواص حجاب؛ لأن معرفة الله جلا نورها كل ظلمة، وكشف سرورها كل غمة" [٤] .

---

(١) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين، ولد سنة اثنين وخمسين وتسعمائة من الهجرة الموافق الخامس والأربعين وخمس مائة بعد الألف، من كبار العلماء بالدين والفنون، انزوى للبحث والتصنيف له نحو ثمانين مصنفًا، منها الكبير والصغير والتام والناقص عاش في القاهرة، وتوفى بها سنة إحدى وثلاثين وألف من الهجرة، الموافق الثاني والعشرين وستمائة وألف(الأعلام، جـ٦ صـ٢٠٤)

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، صـ١٣٩، الطبعة الأولى سنة١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار عالم الكتب، القاهرة– مصر.

(٣) ابن القيم هو: محمد ابن أبى بكر ابن أيوب ابن سعد الزرعى الدمشقي أحد كبار العلماء مولده وفاته في دمشق تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية وله مصنفات كثيرة مفيدة، توفى سنة إحدى وخمسين وسبع مائة من الهجرة(الموسوعة الثقافية للأعلام، جـ١ صـ٤٥٠، إشراف الدكتور/ حسين سعيد، طبعة سنة١٩٧٢م، طبعة دار الشعب).

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ابن قيم الجوزية، ص ٣٧٨ ، الطبعة الثانية سنة١٣٩٤هـ،دار السلفية، القاهرة، مصر

الحُزْنُ في علم النفس.

هو حالة مؤقته من الغم والهبوط المعنوي [١] وهو أيضًا:انفعال كوني له تعبيرات محددة على الوجه يفهمها كل البشر، إذ لا تخطئ العين الشخص الحزين من تقطيبه حاجبيه، وضيق عينيه، وربما ارتجاف الذقن بعض الشيء كما تصحب البكاءَ غالبًا كل هذه التعبيرات، فالبكاء إشارة واضحة للتعبير عن الحزن وطلب المساعدة من الآخرين [٢] والحزن: مرض الروح، كما أن الألم مرض البدن [٣].

ويمكن أن نقول: إن الحزن عبارة عن حالة انفعالية يصحبها تغير في الحالة المزاجية والصحية تستمر حتى يزول المسبب، وهذا ما أشار إليه الذكر الحكيم، فمن خلال النظرة التشخيصية لحالة سيدنا "يعقوب" الحزينة وجدنا أنها: حالة انفعالية، فقول الأبناء لأبيهم : ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [٤] يثبت ذلك فلا يؤدي إلى الهلاك إلا الانفعالات النفسية، ثم نجده مغتمًا وممسكًا على ما في نفسه من غيظ، وهي حالة وجدانية يشير إليها

---

(١) معجم علم النفس والتربية، مجمع اللغة العربية، جـ١صـ٤٢، طبعة سنة ٢٠٠٣م، المطبعة الأمرية ، مصر.

(٢) الحزن الخبيث، لويس ولبرت، صـ١٤٧، ترجمة/ عبلة عودة، مراجعة د/ أحمد خريس ، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، الإمارات العربية المتحدة .

(٣) التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد الثعالبي، صـ١٨١، تحقيق/ عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، الدار العربية للكتاب .

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٥.

التعبير بكلمة ﴿كَظِيمٌ﴾ من قوله سبحانه ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ (١) وقد أدى ذلك إلى اعتلال البدن، فابيضت عيناه واستمر ذلك إلى أن زال المسبب، وهو غياب سيدنا يوسف فعندئذ تغيرت الحالة، وعليه اختفت أعراض الحزن وما ترتب عليه من آثار، يقول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (٢).

فأمراض الحزن النفسية والعضوية التي حذر منها الأطباء موجودة في كتاب ربنا قد عرضها القرآن الكريم حتى يتّقيها المرء، وهذه هي العلاقة بين الانفعالات النفسية والأمراض العضوية.

حقيقة الحزن عند الصوفية.

هو توجع لفائت أو تأسف على ممتنع (٣) والمعنى : أن ما يفوت الإنسان قد يكون مقدورًا له، وقد لا يكون، فإن كان مقدورًا توجع لفوته، وإن كان غير مقدور تأسف لامتناعه (٤) والمعنى – أيضًا – أن حقيقة الحزن تألم الباطن بالنسبة إلى ما

---

(١) سورة يوسف، الآية:٨٤.

(٢) سورة يوسف، الآية:٩٦.

(٣) منازل السائرين، عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، صـ٢٥، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية ، جـ ١ص ٥٠٣ ، تحقيق/ محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.

مضى؛ وذلك ؛إما لفائت يمكن تداركه – كقضاء الصيام والصلاة – أو فائت يمتنع تداركه – كالتأسف على الميت وإرادة حيوته– والمراد ههنا الأول [١] .

وهو حال يقبض القلب عن التفرق في أودية الغفلة [٢] وهو : انكسار القلب وخشوعه، وعلامته انكسار الجوارح الظاهرة من الانبساط، لانكسار الباطن، الذي يجلب الحزن [٣] وقال ابن خفيف [٤] الحزن : " حصر النفس عن النهوض في الطرب " [٥] .

وحقيقته عندهم أنه: قبض بطرق القلب يمنعه من الانبساط ، وقد يكون

---

(١) شرح منازل السائرين، كمال الدين عبد الرازق القاساني، صـ١٠٢، تحقيق/ محسن بيداء فر، مؤسسة التاريخ العبي، ودار حواء.

(٢) الرسالة القشيرية، القشيري، صـ٢٦٧، تحقيق الإمام/ الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

(٣) جامع الأصول في الأولياء "الطرق الصوفية"، أحمد النقشبندي الخالدي، صـ٢٦٠، تحقيق/ أديب نصر الدين، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت – لبنان.

(٤) أبو عبد الله محمد بن خفيف بن إسفكشاذ الضَّبِّيّ الفارسي الشيرازي، ولد سنة ست وسبعين ومائتين من الهجرة، شيخ الصوفية، كان عالمًا بعلوم الظاهر، وعلوم الحقائق، أوحد المشايخ فى وقته حالًا، وعلمًا، وخلقًا، مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة من الهجرة.(طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، صـ٣٤٥، تحقيق/مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان؛ سيرة أعلام النبلاء، الذهبي، جـ ١٦صـ ٣٤٢،تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان)

(٥) الرسالة القشيرية، صـ٢٦٨.

معه ألم وقد يكون غمى، ولذا يمنع من الشعور بالألم، ويكون سببه نظرًا في أمر ماض، أو استشعار فوات محبوب حاصل أو ممكن الحصول، أو نزول مكروه مؤلم في المستقبل (١)(٢).

وهو أيضًا عندهم: انكسار الفؤاد لفوات المراد، وقيل: زوال قوة القلب لدوام وارد الكرب (٣).

تعريف الفلاسفة للحزن.

هو ألم نفساني يعرض لفقد المحبوبات، وفوت المطلوبات (٤) وهنا يلفت الكندي الأنظار إلى أن المرغوبات والمحبوبات من الأشياء المادية الحسية في عالم الشهادة، سبب لشعور الإنسان بالحزن والألم؛ لكونها عرضة للاضمحلال والزوال، فيحزن المرء لفسادها وضياعها، أما الثابت الذي لا يطرأ عليه الفساد والتغير، فالمحبوبات والمطلوبات العقلية، فغالبًا ما تكون دائمة وثابته، وعليه فمن أراد الراحة والسعادة، وتوقي الحزن والألم، فليجعل مرغوباته ومطلوباته المحببة في

(١) شرح منازل السائرين، محمود بن حسن الفركاوي القادري، صـ٢٢، طبعة سنة ١٩٥٣م، المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.

(٢) شرح منازل السائرين، عبد المعطي بن أبي الثناء اللخمي الاسكندري، صـ٤٠، طبعة سنة ١٩٥٤م، المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، صـ١٣٩.

(٤) رسالة الكندي "في الحيلة لدفع الحزن" ضمن رسائل فلسفية جمع وتحقيق/عبد الرحمن بدوي،صـ٦، الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٣م، دار الأندلس، بيروت – لبنان.

العالم العقلي لا العالم الحسي .

يقول الكندي [١] : " فإنه ليس بممكن أنين الأحد جميع محبوباته ؛ لأن الثبات والدوام معدمان في عالم الكون والفساد – الحياة الدنيا –الّذي نحن فيه وإنما الثبات والدوام موجودان اضطرارًا في عالم العقل– ما بعد الموت – الذي هو ممكن لنا مشاهدته فإن أحببنا أن لا نفقد محبوباتنا ولا تفوتنا طلباتنا فينبغي أن نشاهد العالم العقلي وتصير محبوباتنا وقُنياتنا " ممتلكاتنا " وإرادتنا منه، فإن فعلنا ذلك أمنا أن يغصبنا قنياتنا أحد أو تملكها علينا يد وأن نعدم ما أحببنا منها إذ لا تنالها الآفات ولا يلحقها الممات ولا تفوتنا الطِلبة ، اذا لمطالب العقلية واقفة غير متحركة ولازائلة ، فهي مدركة غير فائتة ، فأما القنية الحسية والمحبوبات الحسية والطلبات الحسية فإنها موقوفات لكل أحد ومنال لكل يد لا يمكن تحصينها ولا يؤمن فسادها وزوالها " [٢] .

وإذا كان الأمر كذلك، فلا ينبغي للإنسان أن يحزن؛ لأن لو حزن لكل مطلوب يقصده، ولكل مرغوب يفوته، لكان دائم الأحزان، وهذا ما أشار إليه

---

(١) الكندي: أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي، ولدي بالكوفة في مطلع القرن الثامن الميلادي، وتوفي في بغداد سنة ثلاث وسبعين وثمان مائة من الميلاد، وهو من قبيلة كندة العربية، فلقب بفيلسوف العرب، عاش في زمن المأمون والمعتصم، برع في : الفلك والفلسفة والكيمياء والفيزياء والطب والرياضة والموسيقة وعلم النفس، وقد شغل بترجمة كتب اليونان(معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، صـ٥٢٨،الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٦م، دار الطليعة، بيروت – لبنان)

(٢) الكندي، رسالة في الحيلة لدفع الأحزان، ضمن رسائل فلسفية، صـ٧.

الكندي بقوله:" فينبغي إذن أن لا نحزن على الفائتات، ولا فقد المحبوبات، وأن نجعل أنفسنا بالعادة الجميلة، راضية بكل حال؛ لنكون مسرورين أبدًا" (١) .

ويقول مسكوية (٢) : " تعجل ألم ومكروه على ما لا يجدي الحزن إليه بطائل، وقال: هو ألم نفساني يعرض لفقد محبوب أو فوت مطلوب" (٣) وهو نفس تعريف الكندي.

والحزن عند الفلاسفة هو: ألم نفساني يغمر النفس كلها ويرادفه: الهم، والغم، والكآبة (٤) وليس هذا فحسب، بل يرادفه أيضًا: الأسف، الأسى، الابتئاس، الكرب ، الكمد، البث، وبين هذه المترادفات فروق لغوية نوضحها فيما يلي:

---

(١) المرجع السابق، ص ٩.

(٢) أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، أبو علي، مؤرخ بحاث، أصله من الري وسكن أصفهان، لطيف الألفاظ، سهل المأخذ، مشهور المعاني شديد التوقي، ضعيف الترقي، يتطاول جهده ثم يقصر، وهو حائل العقل لشغفه بالكيمياء، ألف كتباً نافعة، وتوفي بأصفهان سنة إحدى وعشرين وأربعمائة من الهجرة.(معجم الفلاسفة، صـ٣٤؛ لأعلام، جـ١ صـ٢١١)

(٣) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مسكويه، صـ٤٣٢،٤٢٩، تحقيق/ عماد الهلالي، الطبعة الأولى سنة٢٠١١م ، منشورات الجمل، بيروت- لبنان.

(٤) المعجم الفلسفي، الدكتور/ جميل صليبا، جـ١صـ٤٦٦، طبعة سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، الشركة العالمية للكتاب، بيروت- لبنان.

المبحــث الثانــي
تفصــيل أوصــاف الحــزن

أولاً : الهــم .

إن المكروه الذي يرد على القلب إن كان لما يستقبل أورثه الهم، وإن كان لما مضى أورثه الحزن (١) فالحزن على الماضي، والهم للمستقبل.

وقيل: الفرق في الشدة والضعف، فإن الهم من حيث إن تركيبه أصل في الذوبان، يقال: أهمني المرض بمعنى أذابني، وسنام مهموم مذاب، وسمي به ما يعتري الإنسان من شدائد الغم؛ لأنه ببدنه أبلغ وأشد من الحزن الذي أصل الخشونة، والقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة (٢) .

يقول صاحب الفروق اللغوية: "الهم هو الفكر في إزالة المكروه واجتلاب المحبوب...وقد سمي الحزن الذي تطول مدته حتى يذيب البدن همًا واشتقاقه من قولك انْهَم الشحم إذا ذاب وهَمهُ إذا أذابه " (٣) .

ثانيـاً : الغــم .

لقد جاء الغم في سبعة مواضع من القرآن الكريم على صيغة المصدر فقط، ليدل على شدة الحزن، يقول الله تعالى : ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، صـ٥٠١.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي ، جـ٢صـ١٩١، تحقيق/ أحمد عبد السلام، الطبعة الاولى سنة ١٤١٥ه- ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

(٣) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، صـ٢٦٧،٢٦٦، تحقيق/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.

﴿ تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) ويقول سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ (٢) ويقول سبحانه : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ (٣) ويقول سبحانه : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٤) ويقول سبحانه: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ (٥) وقد يكون الغم مصاحبًا لبعض الانفعالات: كالخوف والغضب والندم، يقول الله- تعالى - عن سيدنا موسى- عليه السلام- وقت هروبه وقد انتابه حالة من الحزن والخوف ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ (٦) ويقول سبحانه عن سيدنا يونس-عليه السلام- وقد أصابه نوبة من الغضب والندم : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٧) فالحالتان إن دلتا على شيء فإنما تدلان على حزن شديد مطبق، لم يستطيعا التخلص منه، والسيطرة عليه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية:١٥٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية:١٥٤.

(٣) سور طه، الآية:٤٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.

(٥) سورة الحج، الآية:٢٢.

(٦) سور طه، الآية:٤٠.

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧، ٨٨.

يمكن أن نقول: إن الغم انفعال نفسي يدل على الحزن الشديد المكبوت المصاحب للخوف والندم، مع وجود حالة من الغضب في بعض الأحيان.

ويقول الإمام محمد عبده (١) : " الغم هو الألم الذي يفاجئ الإنسان عند نزول المصيبة، وأما الحزن فهو الألم الذي يكون بعد ذلك ويستمر زمنًا " (٢) .

والغم قد لا يعرف سببه، ولا تتبين حقيقته بخلاف الحزن، وهذا ما يدل عليه مادته، فإنها تدل على الخفاء والستر، تقول: غَمَّ الشيء إذا أخفاه، وغمي على المريض إذا غشي عليه كأنه ستر عقله، وغم عليهم الهلال لم يره أحد، ومنه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ (٣) .

وقيل: الغم أخص من الحزن وهو شامل لجميع أنواع المكروهات، والغم

---

(١) الإمام محمد عبده: ولد في قرية محلة نصر بالبحيرة عام خمسة وأربعين وثمانمائة وألف من الميلاد، التحق بالجامع الأحمدي، ثم أرسله أبوه إلى الجامع الأزهر إلى أن جاء السيد جمال الدين الأفغاني فأخذ عنه الإمام الكثير حتى أصبح ذا مكانة بارزة، تولى بعض المناصب منها: رئيس تحرير الوقائع المصرية، ثم مديراً للمطبوعات المصرية حتى نفى إلى الشام، ثم عاد فعين مفتياً للديار المصرية، توفى سنة خمس وتسعمائة وألف من الميلاد.(تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ/ محمد عبده، جـ٣ صـ١٩، السيد محمد رشيد رضا، طبعة سنة ١٣٢٤هـ، مطبعة المنار؛ وكذلك كتاب أعلام الفكر الإسلامي، الدكتور/ عثمان أمين، صـ٤٤، طبعة ستة١٩٩١م ، دار الثقافة للنشر والتوزيع)

(٢) تفسير المنار، العلامة/ محمد رشيد رضا، جـ٤صـ١٥١، طبعة سنة ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣) سورة يونس، الآية:٧١.

بحسب ما يصده، والحزن ما يلحقه بسبب حصول مكروه في الماضي، والغم على المستقبل [١].

وهذه الحالة من الحزن الشديد يمكن علاجها بالخلود إلى النوم كما أرشد القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [٢] فالأمن يكون مع زوال سبب الغم وهو الخوف، ولقد أمنهم الله يومئذ بنعاس يغشاهم.

ثالثًا : الكآبــة.

هي سوء الهيئة والانكسار من الحزن في الوجه خاصة [٣] فهي أثر للحزن البادي على الوجه، ومن ثم يقال عَلَته كآبة ولا يقال: علاه حزن أو كرب؛ لأن الحزن لا يرى ولكن دلالته على الوجه، وتلك الدلالات تسمى كآبة، والشاهد قول النابغة [٤] من الطويل [٥] :

---

(١) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين الكجراتي ، جـ٤صـ٦٦،الطبعة الثالثة سنة١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

(٢) سورة آل عمران، الآية:١٥٤.

(٣) المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، جـ٦صـ٣٤٤، تحقيق/ محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار عالم الكتب، بيروت- لبنان.

(٤) زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ الغطفانيّ المضري، أبو أمامة، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره عليه، وكان حظيًا عند النعمان بن المنذر، هو أحد الأشراف في الجاهلية، مات سنة ثمان عشرة قبل الهجرة(الأعلام، جـ٣صـ٥٥)

(٥) سمي الطويل طويلًا لأنه يأتي تامًّا ، لا مجزوءًا ولا مشطورًا ولا منهوكًا ، وقيل سمي طويلًا ؛ =

إذا حَلّ بالأرضِ البريّةِ أصْبَحَتْ كئيبةَ وجهٍ غبها غيرُ طائلِ [١]

الشاهد أنه جعل الكآبة هنا في الوجه [٢] .

رابعًا : الأسف .

وردة مادة أسف وما يشتق منها في خمسة مواضع من القرآن الكريم، أسندت أربعة منها إلى النفس الإنسانية، بينما أسند الموضع الخامس إلى الله تعالى [٣] .

وهي تعني: المبالغة في الحزن والغضب [٤] فقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا

لأن عدد حروفه يبلغ الثمانية والأربعين في حالة التصريع أي في حالة كون العروض والضرب من نفس الوزن والقافية ، وليس بين بحور العربيّة بحر على هذا الطراز ، وسئل الخليل عن سبب تسمية الطويل طويلًا ، فقال : لأنه طال بتمام أجزائه ، وزن البحر الطَّوِيْل : فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ ... فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ ، ولا يستعمل هذا البحر إلا تامًا وجوبًا (العروض الواضح وعلم القافية، الدكتور/ محمد علي الهاشمي، صـ٢٩، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م- ١٤١٢هـ، دار القلم، دمشق)

(١) ديوان النابغة الذبياني، صـ١٤٧، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.

(٢) الفروق اللغوية، صـ٢٦٧.

(٣) المواضع الخمسة هي : قوله تعالى : ژ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ پ ٻ ژ سورة الأعراف، الآية:١٥٠، وقوله تعالى : ژ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن ڤ ڤ ڤ أَسَفًا ژ سورة الكهف ، الآية : ٦ ، وقوله تعالى : ژ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ ژ سورة طه، الآية:٨٦ ، وقوله تعالى : ژ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ژ سورة يوسف، الآية:٨٤ ، وقوله تعالى : ژ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ژ سورة الزخرف، الآية:٥٥.

(٤) لسان العرب، جـ٩صـ٥.

أَنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [١] يقول الطبري [٢] : " والأسف على وجهين : الغضب والحزن [٣] وفي السنة النبوية ، من حديث السيدة عائشة – رضي الله عنها – لما مرض رسول الله –ﷺ– مرضه الذي مات فيه أَتَاهُ بِلَالٌ يُوذِنُهُ بِالصَّلَاةِ فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ إِنْ يَقُمْ مَقَامَكَ يَبْكِي فَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِرَاءَةِ " [٤] يعني : سريع الحزن والبكاء.

وفي حديث "موت الفجأة " الذي رواه الإمام أحمد [٥] في مسنده من

---

(١) سورة الزخرف، الآية:٥٥.

(٢) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر:المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة،واستوطن بغداد وتوفى بها،منمؤلفاته:أخبار الأمم والملوك، وجامع البيان في تفسير القرآن، واختلاف الفقهاء،والمسترشد في علوم القرآن وغيرهم،توفى سنة عشر وثلاثمائة من الهجرة(الأعلام، جـ٦، صـ٦٩)

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الإمام الطبري، جـ١٨ صـ٣٥٠، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة، مصر.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الْأَذَانِ، باب: مَنْ أَسْمَعَ النَّاسَ تَكْبِيرَ الْإِمَامِ، جـ١ صـ١٤٣؛ وباب: الرَّجُلُ يَأْتَمُّ بِالْإِمَامِ وَيَأْتَمُّ النَّاسُ بِالْمَأْمُومِ،جـ١ص١٤٤؛ كتاب: أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، باب: قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ژ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ژ سورة يوسف ، الآية : ٧ ، جـ ٤ ص ١٤٩؛ تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى سنة١٤٢٢هـ ، دار طوق النجاة؛ صحيح مسلم، كتاب: الصَّلَاةِ ، باب: اسْتِخْلَافِ الْإِمَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ وَغَيْرِهِمَا، جـ١، ص٣١١،تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.

(٥) هو أحمد بن حنبل ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل – عليهما السلام – أبو عبد الله =

حديث " عُبَيْدِ بن خالد [١] " وكان من أَصحاب -ﷺ- قَال : "مَوْتُ الْفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسَفٍ" وَحَدَّثَ بِهِ مَرَّةً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ [٢] أي: أخذة غَضَب أو غَضْبان، يقال: أَسِفَ يأسَفُ أَسَفاً فهو آسِفٌ إذا غَضب [٣] .

فالأسف: الحزن والغضب معًا، وقد يقال: لكل واحد منهما على الانفراد، وحقيقته: ثوران دم القلب شهوة الانتقام فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضبًا، ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزنًا؛ ولذلك لما سئل ابن عباس عن الحزن والغضب قال:"مخرجهما واحد، واللفظ مختلف، فمن نازع من يقوى عليه

الشيباني المروزي ثم البغدادي قدم به أبوه من مرو مدينة بخرسان وهو حمل فوضعته أمه ببغداد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة وتوفى أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه توفى سنة إحدى وأربعين ومائتين وله من العمر سبع وسبعون سنة رحمة الله (البداية والنهاية ، ابن كثير، مج٥ جـ١٠صـ٣٥٢، تحقيق الدكتور/ أحمد عبد الوهاب فتيح ،الطبعة السادسة سنة١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ،دار الحديث ، القاهرة)

(١) عبيد بن خالد السُّلَمِيّ الْبَهْزِيُّ، ويقال عبدة بن خالد، وعبيد بن خالد، وصوابه عبيد مهاجري، يكنى أبا عبد الله، سكن الكوفة، وروى عنه جماعة من الكوفيين،منهم سعد ابن عبيدة، وتميم بن سلمة، شهد صفين مع علي رضي الله عنه. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر،جـ٣صـ١٠١٦ ،تحقيق/ علي محمد البجاوي،الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت)

(٢) إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين، المسند، جـ٢٤صـ٢٥٣، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، جـ١صـ١٠٨، تحقيق/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، طبعة سنة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان.

أظهره غيظًا وغضبًا، ومن نازع من لا يقوى عليه، أظهره حزنًا وجزعًا" (١) .

وبهذا النظر قال المتنبي (٢) من البسيط (٣) :

جَـــزَاكَ رَبُّـــكَ بـــالأحزانِ مَغْفِـــرَةً فحـزْنُ كـلّ أخـي حـزْنٍ أخـو الغضَـبِ (٤)

فالأسف حالة تعكس مشاعر الحزن الشديد البالغ منزلة وراء الغضب وأشد منه، يقول الله -تعالى- عن سيدن موسى- عليه السلام - حين انتابته حالة من الحزن والغضب؛ لعبادة بني إسرائيل العجل واتخاذه إلهًا من دون الله : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ ﴾ (٥) فما حدث من هؤلاء

---

(١) المفردات في غريب القرآن، صـ٧٥.

(٢) أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي، الشاعر المعروف بالمتنبي، ولد بالكوفة، سنة ثلاث وثلاثمائة من الهجرة ، ونشأ بالشام، وأقام بالبادية، وطلب الأدب وعلم العربية، ونظر في أيام الناس، وتعاطى قول الشعر في حداثته، حتى بلغ فيه الغاية، وأنهي فيه النهاية، وفاق فيه أهل عصره، توفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، في خلافة المطيع.(نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، صـ٢١٩، تحقيق/ إبراهيم السامرائي، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن)

(٣) سمي الْبَسِيْط بهذا الاسم: لانبساط أسبابه ، أي تواليها في مستهل تفعيلاته السباعية، وقيل: لانبساط الحركات في عَرُوْضه وضربه في حالة خبنهما ؛ إذ تتوالى فيهما ثلاث حركات ، ويستعمل تاما ومجزوءًا ، وزن البحر البسيط : مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ ** مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ (العروض الواضح وعلم القافية ، صـ٤٢)

(٤) ديوان المتنبي، صـ٤٣٦، طبعة سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار بيروت .

(٥) سورة طه، الآية:٨٦.

لا يستدعي الحزن الشديد فحسب، بل والغضب أيضًا وهما في الحقيقة متقاربان؛ لأن الغضب من الحزن والحزن من الغضب، فإذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت، وإذا جاءك ممن هو أعلى حزنت، فتسمي إحدى هاتين الحالتين حزنًا والأخرى غضبًا، فعلى هذا كان موسى-عليه السلام-غضبان على قومه لأجل عبادتهم العجل، أسفًا حزينًا ؛ لأن الله-تعالى-فتنهم وقد كان -تعالى- قال له : ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (١) (٢) .

خامسـًا : الأســى .

جاءت مادة " أسى" وما يشتق منها في أربعة مواضع من القرآن الكريم وكلها على صيغة المضارع المنفي إلا واحدة هي التي سبقت باستفهام.

والأسى : هو الحزن الشديد على شيء لم يتحقق ، يقال : أسيت على الشيء آسي أي : حزنت عليه ، وقد أسيت لفلان أي : حزنت له ، قال العجّاج (٣) من

---

(١) سورة طه، الآية:٨٥.

(٢) مفاتيح الغيب، الإمام/ الرازي ، جـ ١٥صـ١٠ ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

(٣) رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحّاف أَو أَبو محمد، راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية،كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة،مات في البادية وقد أسنّ سنة خمس وأربعين ومائة،ولما مات رؤبة قال الخليل:دفنا الشعر واللغة والفصاحة.(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، جـ٢صـ٣٠٣،تحقيق/ إحسان عباس، الطبعة الأولى سنة ١٩٠٠م، دار صادر، بيروت – لبنان)

الرجز [١] :

وانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ منْ فَرْطِ الأسَى [٢] .

وحقيقته: إتباع الفائت بالغم [٣] وهذه الحالة الانفعالية لها عوامل داخليه، وعوامل خارجية كحزن وأسى الأنبياء على أقوامهم كما في قول الله – تعالى- مخاطبًا سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٤] وقوله سبحانه مخاطبًا سيدنا رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

---

(١) اختلف في سبب تسمية هذا البحر بهذا الاسم ، فقيل : لاضطرابه وهو مأخوذ من الناقة التي يرتعش فخذاها ، وسبب اضطرابه جواز حذف حرفين من كل تفعيلة من تفعيلاته، وكثرة إصابته بالزحافات والعلل، والشطر والجزء والنهك؛ فهو أكثر البحور تقلبًا فلا يبقى على حال واحدة، وقيل: لتقارب أجزائه وقلة حروفه، وقيل: لأن الشائع منه المشطور ذو الثلاثة الأجزاء فهو بهذا شبيه بالراجز من الإبل وهو ما شد إحدى يديه وبقي قائما على ثلاثة قوائم، وزن البحر الرجز مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ ** مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

ويستعمل بحر الرجز تامًا ومشطورًا ومجزوءًا ومنهوكًا .

(٢) ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، صـ١٥٦، تحقيق الدكتور/ عزة حسن، طبعة سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٥م،

(٣) المفردات في غريب القرآن، صـ٧٧.

(٤) سورة المائدة، الآية:٢٦.

﴿٦٨﴾ ﴾ [١] وحين اشتد حزن سيدنا شعيب -عليه السلام- لحال قومه، أدرك أن حزنه في غير محله، فهم ليسوا أهلًا للاهتمام؛لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم، يقول الله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [٢] وحتى لا يحزن الإنسان حزنًا مذهبًا للثواب، ولا يفرح فرحًا موجبًا للعقاب، قال الله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٣] .

سـادسًا : الابتئـاس .

افتعال من البؤس وهو الحزن، يقال: ابتأس الرجل: إذا بلغه شيء يكرهه ويغمه، والابتئاس حزن في استكانة، يقول الله تعالى : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [٤] ويقول سبحانه : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [٥] .

---

(١) سورة المائدة، الآية:٦٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية:٩٣.

(٣) سورة الحديد الآية:٢٢، ٢٣.

(٤) سورة هود، الآية:٣٦.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٦٩.

يقول الإمام النسفي:" فلا تحزن حزن بائس مستكين، والابتئاس: افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر" (١) ويقول حسان بن ثابت (٢) من البسيط:

ما يَقْسِمُ اللهُ أَقْبَلْ غيرَ مُبْتَئِسٍ منه *** وأَقْعُدْ كرِماً ناعِمَ البالِ (٣)

ســابعًا : الكــرب .

وردة مادة كرب في أربعة مواضع من القرآن الكريم، يقول الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٤) ويقول سبحانه : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ (٥)

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الإمام/ أبو البركات النسفي،جـ٢صـ٥٧، تحقيق/ يوسف علي بديوي، الطبعة الأولى سنة١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، دار الكلم الطيب، بيروت- لبنان.

(٢) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار، سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس، ويقال: أبو الحسام، الأنصاري الخزرجي النجارى المدني، ابن الفريعة، شاعر رسول الله-ﷺ-وصاحبه، كنيته أبو عبد الرحمن، توفى زمن معاوية، سنة أربع وخمسين من الهجرة(سيرة أعلام النبلاء، جـ٢،صـ٥١٢؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب،جـ١،صـ٣٤١؛الإصابة في تمييز الصحابة، الإمام/ابن حجر العسقلاني، جـ٢،صـ٦٢، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان؛ والأعلام ، جـ٢، صـ١٧٥)

(٣) ديوان حسان بن ثابت، صـ١٩١، تحقيق/ عبد أ . مهنا، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤ه،-١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

(٤) سورة الأنعام، الآية:٦٤.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٧٦.

ويقول سبحانه ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ [١] ويقول سبحانه﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ ﴾ [٢] وكل هذه الآيات تدل على الحزن الشديد الذي يضيق به الصدر، يقول ابن فارس [٣]:" الكاف والراء والباء، أصل صحيح يدل على شدة وقوة [٤].

والكرب هو: الحزن والغم الذي يأخذ بالنفس، وجمعه كروب، وكَرَبه الأمر يكربه كربًا اشتد عليه فهو مكروب، والاسم الكربة [٥] وهو أيضًا: الشدة الموجبة للحزن، وألم الجسد والنفس [٦].

وأصل الكرب: الحبل الذي يُشد على الدلو [٧] فكأن الكرب حبل أو

---

(١) سورة الصافات، الآية:٧٦.

(٢) سورة الصافات، الآية:١١٥.

(٣) الإمام العلامة، اللغوي المحدث، أبو الحسين، أحمد بن فارس زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، سنة تسعين وثلاثمائة وإليها نسبته(سيرة أعلام النبلاء، جـ١٧صـ١٠٣)

(٤) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، جـ٥صـ١٧٤،تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، طبعة سنة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، دار الفكر، بيروت – لبنان.

(٥) لسان العرب، جـ١صـ٤١١.

(٦) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، جـ٢صـ٧٢، الطبعة الخامسة سنة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية

(٧) لسان العرب، جـ١صـ٧١١.

سلسلة تشد على الإنسان شدًا متكررًا دون توقف، فهو ضغط على النفس الإنسانية باستمرار من سيء إلى أسوأ، وهذه المعاني هي ما تحدث عنها القرآن الكريم في الآيات السابقة،فهي تتحدث عن أحداث مؤلمة متلاحقة، من غرق، وقتل، ثم إنها تشتد لحظة بعد لحظة، كحبل الدلو تمامًا، وهذا تصوير بليغ ودقيق لمعنى الكرب في القرآن الكريم.

ثامنًا : الكَمَـدُ .

مُحَرَّكَةً : الحُزْنُ الشديد لا يُستطاعُ إِمْضَاؤُه، ومرض القلب من هذا الحزن الشديد (١) وهو الحزن المكتوم (٢) وهذا الشكل من الحزن، عادة ما يخفيه صاحبه خلف قناع العبوسة والكآبة.

تاسـعًا : البـث .

وردت مادة بث في القرآن الكريم في موضع واحد وهو قوله – تعالى– على لسان سيدنا يعقوب : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ ﴾ (٣) وقد جاء مسندًا إلى النفس الإنسانية؛ ليدل على أن هذا الحزن نابع من أعماق الذات، وقد عطف العام وهو: الحزن، على الخاص وهو: البث،

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى، الزَّبيدي،جـ٩صـ١١٣،تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري الفارابي،جـ٢صـ٥٣١،تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة سنة١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان.

(٣) سورة يوسف، الآية:٨٦.

للتعميم، وشمول كل الأفراد: سواء كان حزنًا عظيمًا، أو ما دونه، والمعنى: إنما أشكو حزني العظيم، وما دونه إلى الله لا إلى غيره من الناس،وإفراده بالذكر، اهتمامًا بشأنه، ولفت الأنظار إليه.

وأصل البث : ما في صدر الإنسان مما هو معتزم أنه يبثه وينشره (١) وهو أشد الحزن؛ لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه أي: يفشوه (٢) لكونه متى أمكنه أن يمسك لسانه عن ذكره لم يكن ذلك الحزن مستوليًا عليه، وأما إذا عظم وعجز الإنسان عن ضبطه، وانطلق اللسان بذكره شاء أم أبى، كان ذلك بثًا، وذلك يدل على أن الإنسان صار عاجزًا عنه وهو قد استولى على الإنسان (٣) وهذا هو الفرق بينه وبين الهم.

بناءً على هذا التفصيل إذا أردنا أن نصنِّف هذه الحقول الدلالية حسب قوتها وعمقها، وتأثيرها في النفس، فهي من الأدنى إلى الأعلى كالآتي:

الحزن : حالة انفعالية متفاوتة قد تطول أو تقصر، تصاحبها حالة مزاجية سيئة مع تدهور صحي حتى يزول المسبب المادي أو المعنوي.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، جـ٣صـ٢٧٣، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

(٢) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، جـ٢ صـ١٧٤،تحقيق الشيخ/ علي معوض وآخرون، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٣) مفاتيح الغيب، جـ٩صـ٩٩

البؤس : حزن شديد قد يستمر في النفس؛ لحدوث مكروه، يصاحبه استكانة.

الأسى : حزن شديد؛ لفوات نافع، يصاحبه الغم والندم أحيانًا.

الغم : حزن شديد مطبق مكتوم، يصاحبه الخوف والندم، مع وجود حالة من الغضب في بعض الأحيان، وقد لا يعرف سبب وحقيقته، كما يصعب التخلص منه والسيطرة عليه.

الكرب : حزن شديد يأخذ بالنفس على سرعة، ويضيق به الصدر، وحقيقته أنه: الشدة الموجبة للحزن، وألم الجسد والنفس، نتيجة حدث خاطف.

الكمد : حزن شديد لا يستطاع إمضاؤه، تظهر آثاره في شكل عبوسة على وجه الإنسان.

الكآبة : حزن شديد، تظهر آثاره على هيئة انكسار في الوجه خاصة.

الهم : حزن يطول حتى يذوب البدن، فهو أصل في الذوبان، يقال: أهمني المرض، أي: أذابني، وحقيقته: الفكر في إزالة المكروه الذي يرد على القلب في المستقبل.

البث : هو أشد الحزن؛ لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه أي: يخبر به وينشره، وهو أشد من الهم ودون الأسف.

الأسف : حزن قوي، يصاحبه غضب شديد، وأصله حالة تعكس مشاعر الحزن الأليم البالغ منزلة وراء الغضب، وذلك لحدوث شيء مؤلم غير متوقع، وهو أعلى درجات الحزن، وأشده وطأة على النفس الإنسانية.

الفصـــــل الثـانـــي

أســباب ودوافـع الحـزن ، وموقف الإســلام منـه

ويتكـون من مبحثين

المبحـث الأول: أســباب ودوافــع الحــزن .

المبحث الثاني: موقــف الإسـلام من الحزن .

الفصـــل الثـانـــي

أســـباب ودوافـــع الحـــزن، وموقـــف الإســـلام منـــه

المبحث الأول : أســـباب ودوافـــع الحـــزن .

تنقسم هذه الأسباب إلى قسمين:

إحداهما: أسباب مستقرة ومتوطنة "باطنية المنشأ وليس لها محفز ظاهر".

ثانيهما: أسباب مهيئة "خارجية".

أما الأول : فإن بعض الناس يوجد عندهم استعداد للحزن، ولديهم في فطرهم الميول له، وهذا ما نلمسه في الواقع، ونشاهده في الحياة، وخاصة ما لديهم حساسية مفرطة، ومشاعر جياشة، وعاطفة رقيقة صادقة.

وقصة هذه الأحاسيس العاطفية، تبدأ بحب مخلص أو شعور بالاهتمام ينتهي إلى حزن عندما يتحول الشعور بالاهتمام إلى إحساس عاطفي محزن – كالشوق لشخص قضيت معه أوقاتًا طيبة – فإن الصور الحسية، والذكريات العاطفية، تخلف إحساسًا بالخسارة، يمكن أن يجعل القلب يغوص في حزن عميق.

فبقاء هذه الأحاسيس العاطفية أكثر من اللازم، يسبب "نزيفًا للقلب" وسرعان ما يجذب أي إحساس عاطفي قوي غيره من الأحاسيس، حتى قبل أن تشعر بأنك غائص في مستنقع الكآبة.

فالعقل يفرط في تماثله مع الذكريات وتقمصها – معطيًا أهمية أكبر لما كان يمكن أن يحدث – مما يشعل شرارة الحزن والارتباك اللذان يتحولان في النهاية إلى

بؤس واكتئاب، وإن التحكم في العاطفة لا يعني القضاء على شعور الحزن أو كبحه، وعلى الإنسان أن يتعلم كيفية التحكم بمشاعره الحساسة، وعواطفه المتأججة التي لا يمكن أن تتحول إلى حزن.

وهذا التحكم يكون عن طريق تقنية التماسك السريع بحيث تمكِّن قيم قلبك الجوهرية العميقة من التعبير عن نفسها، وبذلك فإنك تكرِّم ذكرياتك المتعلقة بأشخاص آخرين عبر رفع العواطف الحساسة إلى مستوى التقدير أو التعاطف والتفهم، وبهذا تحقق التماسك المطلوب، وهذا يعطيك شعورًا بالطمأنينة والأمان، ويشرع في إعادة ترميم قوتك العاطفية المجهدة، كما يمكن أن يزودك بمفاهيم جديدة عن كيفية التحول نحو الأمام (١).

من مشكلات العاطفة الجامحة "التعاطف"مع الآخر حال حزنه، وهو أمر قد يوقع في مصيدة الأحزان؛ لأنه يجعل المرء مندمجًا مع المصاب بهذا الداء– اهتمامًا بحاله– إلى درجة المشاركة، وفي الواقع إن هذا الموقف يُعجز الإنسان عن المساعدة، ويقلص قدرته على الاهتمام، فعندما يرث الذهن حال شخص آخر، فإنه غالبًا يتصور بؤسًا أكثر مما هو موجود بالفعل، وقبل أن يعرف الشخص هذا يكون قد غرق في الحزن واستنزفت قواه، ويصبح لدينا إثنان مصابان بدلًا من واحد، وهذا من جراء التعاطف الزائد.

---

(١) التخلص من الاكتئاب، دوك تشيلدر، د.ديبورا وزمان، صـ١١٤، ترجمة/ عبير الدجاني، طبعة سنة ٢٠٠٧م، دار العبيكان.

ومن الأسباب المستقرة والموطنة للحزن، عامل الوراثة، فإن الدراسات تثبت وتؤكد على مدى التأثير الجيني في إمكانية الإصابة بالحزن والاكتئاب، كما يعتقد أنهما ينتقلان بواسطة مورثات جسمية مهيمنة أو مورثات جينية محمولة على الكرموسوم « × » .

يقول " دوك تشيلدور والدكتور ديبورازوزمان" : " لا بد أن ننظر إلى العوامل الوراثية التي قد تجدد نسبة قابلية الشخص للإصابة بالاكتئاب وذلك عن طريق تفحص التاريخ المرضي للعائلة، وتتبع الإصابة بالاكتئاب عبر الأجيال المختلفة، وإمكانية انتقاله من جيل إلى آخر، وتشير كل الأدلة إلى أن نسبة وراثته قد تصل إلى خمسين في المئة، وهكذا فإن إمكانية تعرض أي شخص مرهونة بما ورثه من جينات" (١) .

وقد أجريت دراسات بالفعل، وتأكد الباحثون – بما لا يدع مجالًا للشك – التأثير الجيني على إمكانية الإصابة بهذه الحالة، فمن هذه الدراسات، ما تم على التوأم المتطابق، ولقد ثبت أن إصابة أحد التوأمين تعني إصابة الآخر بنسبة خمسين بالمائة، معنى هذا أن هناك تأثيرًا جينيًا قويًا يؤكد الدور الكبير الذي تلعبه الجينات في احتمالية الإصابة.

كما تشير الدراسات، أن أقارب الشخص المصاب بالاكتئاب معرضون بدورهم بالإصابة بالمرض بنسبة عشرين بالمئة،أما احتمالية إصابة الأطفال لأبوين

(١) الحزن الخبيث، صـ٩٣.

مصابين، فإنها تتجاوز الخمسين بالمئة.

وإذا كان أحد الوالدين أو أحد الأشقياء مصابًا بالحزن والاكتئاب، فإن نسبة إصابة الابن أو الشقيق تتصاعد عن الشخص العادي، وترتفع هذه النسبة إلى خمسة أضعاف إذا كان القريب قد أصيب قبل عمر العشرين.

كما أجريت دراسة على بعض الأطفال الذين يعيشون مع عائلة لا ينتمون إليها، ولا تربطهم بهم صلة قرابه؛وذلك لتوضيح العلاقة بين الحزن والاكتئاب والعامل الجيني الوراثي، وقد أظهرت النتائج أن هؤلاء الأطفال الذين ولدوا من أب أو أم مصابين، معرَّضون للإصابة رغم وجودهما ضمن عائلات أجنبية لا يعاني أفرادها من هذا الداء وذلك بنسبة أكبر من أولئك الذين ولدوا من أب وأم غير مصابين ويعيشون الآن ضمن عائلات بالتبني يعاني أحد أفرادها من الاكتئاب (١)

ومن هذا القسم – أيضًا– بعض الأمراض التي قد تكون سببًا في الإصابة بالحزن مثل: الخلل في الناقلات العصبية المسئولة عن تنظيم الإيعازات العصبية من خلايا الدماغ، ومن هذه الناقلات " مادة السيروتونين" والتي يؤدي نقصها إلى ظهور أعراض الحزن والاكتئاب.

هذا الخلل إنما يحدث بين خلية وأخرى، فإذا أرادت خلية أن تتصل بأخرى ترسل هذه الناقلات العصبية إلى الخلية المستلمة،حيث أن الخلايا لا تتصل فيما بينها مباشرة، وإذا أوصلت الرسالة إلى الخلية المستلمة عن طريق المستقبلات، يعود

(١) المرجع السابق، صـ٩٤، ٩٥.

الناقل العصبي إلى الخلية المرسلة وتمتصه فيحدث النقص الذي أدى إلى الشعور بالحزن.

ثم باقي الأمراض، ونخص بالذكر الأمراض المزمنة التي لها تأثير على الحالة النفسية وليس على المريض فحسب، بل على الأسرة ككل.

وسبب معاناة المريض، وإصابته بداء الحزن عاملان :

الأول:عامل خارجي يتمثل في تغير حالته البدنية والحياتية، كانخفاض قيمة الذات؛ لإصابته بالهزال والعجز عن مجارات الحياة اليومية؛بسبب الإعياء والفتور وعدم التركيز، ثم الآلام الناتجة عن تأثير بعض الآلات المستخدمة للعلاج.

الثاني: عامل داخلي تسببه بعض الأدوية ويسمى " الحزن والاكتئاب العلاجي المنشأ" وهذه الأدوية مسئولة عن اضطراب المزاج؛ لكونها مثبطة للنواقل العصبية، فبعض الأدوية تعمل على إخفاض أو القضاء على هرمون "السيروتونين" الناقل العصبي المسئول عن السعادة في جسم الإنسان، أو على الأقل فإنها تقلل مستويات التواصل أو الاستثارة والتحفيز العصبي، وقد تقوم بتعديل الإشارات الكهربائية، ولهذا نجد في المنشور المرفق مع الدواء من ينبه – وتحت عنوان الأعراض الجانبية- أن هذا العقار قد يسبب اضطرابات المزاج.

أما السبب الثاني من أسباب ودوافع الحزن وهو الحافز أو المثير الخارجي، كالحزن الناشئ عن اضطراب التكيف النفسي مع الأزمات التي تضع الإنسان في حالة من عدم الراحة، نتيجة تهديدها لأمنه وسلامته واستقراره، فتحدث مجموعه

من التغيرات النفسية كالحزن والقلق والغضب والإحباط،فعندما تكون إمكانيات الشخص محدودة لا تفي بمتطلبات الواقع، وهنا يقع الخلل الناتج عن عدم التوازن، ويتعرض الفرد لمجموعه من المواقف والمشكلات، وهذه هي طبيعة الحياة، مصداقًا لقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ (١) .

وإذا أردنا أن نلمس بعضًا من هذه الأزمات، فلنستعرض الآيات القرآنية التي تشير إلى مجموعه من الأبعاد النفسية التي تجسد الواقع بما فيه من صراعات وهموم.

ففي المحيط الأسري، يعرض القرآن الكريم ما دار من أحداث، وما وقع من أزمات بين عائلة نبي الله يعقوب -عليه السلام- وكيف أصابه ذلك بداء الحزن، ففي سورة يوسف آيات ودروس ينبغي أن نتدبرها، استجابة لقول الله تعالى : ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ (٢) ثم أشار سبحانه وتعالى في نهاية السورة إلى أن هذه الأحداث فيها من العظات البالغات ما يستدعي الوقف عندها؛ حتى يستفيد الإنسان من هذه التجربة، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٣) .

فعلى الرغم من الأخذ بالحيطة والذر في قول نبي الله يعقوب لسيدنا يوسف : ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

(١) سورة البلد، الآية:٤.

(٢) سورة يوسف، الآية:٧.

(٣) سورة يوسف، الآية:١١١.

﴿٥﴾ (١) إلا أن قضاء الله واقع، وإرادته نافذه، وقد استطاع إبليس نفث سمه بين أفراد العائلة المباركة، وغرس الحسد والكراهية في قلوب أبناء النبي -عليه السلام- وانتهت المؤامرة إلى أنه يجب التخلص من يوسف حتى يخلص لهم قلب أبيهم، يقول الله تعالى : ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ (٢) مع علمهم بمكانة سيدنا يوسف في قلب أبيهم، ومدى تعلقه به، يقول الله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (٣) فهو لا يطيق فراقه ولا حتى غيابه من أمام عينيه، ولا شك أن هذه العبارة زادت نار أحقادهم وضغائنهم تأججًا؛ لكون بلوغ حبه له إلى درجة الحزن لفراقه ولو لبعض يوم، وإنما ذكر الحزن ليصرفهم عن طلبهم إذ أن من شأن الأبناء البررة أن يتقوا ما يدخل الحزن على أبيهم، ولكنهم لم يفعلوا، وقدموا على ما سولت لهم أنفسهم، وزينه لهم الشيطان، مع العلم بأن في كلام نبي الله يعقوب تلميح يكشف ما خططوا له، وما تكنه صدورهم لعلهم ينتهون وذلك في قوله: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ (٤) فلو كان لهم قلوب يفقهون بها لتم اختيار وسيلة أخرى غير الذئب، أو على الأقل أحبكوا الفرية ومزقوا القميص، وكأن الذئب هو الفاعل، من باب إقناع الأب أن

---

(١) سورة يوسف، الآية:٥.

(٢) سورة يوسف، الآية:٩.

(٣) سورة يوسف، الآية:١٣.

(٤) سورة يوسف، الآية:١٣.

ما توقعه وأخبر به أصبح محققًا على أرض الواقع، ولكن الحال يؤكد على افترائهم، ونزل البلاء على نبي الله يعقوب، وخيم عليه الحزن حتى أصابه ما أصابه من وراء هذا الصراع الأسري، فما كان منه إلا أنه كما قال الله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ (١) .

ومن الأمثلة القرآنية التي تعرض أحداثًا أثرت بالفعل على الواقع النفسي للأسرة، ما حدث لأم نبي الله موسى – عليه السلام – عندما أُمرت بأن ترضعه، ثم تطرحه في النيل، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ (٢) والمعنى: لا تخافي من هلاكه، ولا تحزني بسبب فراقه، ولكن قلب الأم وخوفها وقلقها على صغيرها، جعلها تنسى وصية الله بعدم الحزن والخوف؛ لأن عناية الله تلاحظه، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٣) يقول الإمام الطبري (٤) :" فارغًا من

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

(٢) سورة القصص، الآية:٧.

(٣) سورة القصص، الآية:١٠.

(٤) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة، واستوطن بغداد وتوفى بها، من مؤلفاته: أخبار الأمم والملوك، وجامع البيان في تفسير القرآن، واختلاف الفقهاء، والمسترشد في علوم القرآن وغيرهم، توفى سنة عشر وثلاثمائة من الهجرة(الأعلام، جـ٦ صـ٦٩)

الوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه في البحر، ولا تخاف ولا تحزن" (١)

يقول ابن قتيبة (٢):" وهذا من أعجب التفسير، كيف يكون فؤادُها من الحزن فارغًا في وقتها ذاك، واللهُ سبحانه يقول: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ ؟! وهل يُربَطُ إلا على قلب الجازع والمحزون؟! والعربُ تقول للخائف والجبان: "فؤاده هواء" (٣).

ومن رحمة الله بهذه الأم الثكلى، أن رُدَّ عليها ولدها؛ ليفرج كربها، ويذهب عنها حزنها، يقول الله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ (٤).

ومن عوامل الحزن الخارجية: عدم إجابة دعوة الداعي إلى الحق، وإلحاق الأذى به.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، جـ١٩صـ٥٢٨.

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد النحوي اللغوي، كان فاضلًا ثقة،من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين،ولد ببغداد سنة ثلاثة عشرة ومائتين من الهجرة وسكن الكوفة،ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها، وتوفي ببغداد سنة ست وسبعين ومائتين(طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنهوي، صـ٤٤، تحقيق/ سليمان بن صالح الخزي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ٣صـ٤٢؛ الأعلام،جـ٤صـ١٣٧)

(٣) غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، صـ٣٢٨، ٣٢٩، تحقيق/ أحمد صقر، طبعة سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٤) سورة القصص، الآية:١٣.

فعندما نقرأ قول الله-تعالى- مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ﴾ (١) وقوله سبحانه : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ (٢) نعلم أن عدم الانصياع لنداء الحق يحدث ألمًا نفسيًا للداعي، وقد يكون سببًا في هلاكه، يقول الله - تعالى- لنبيه ﷺ : ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ (٣) .

والآيات سالفة الذكر تسلية واطمئنان للنبي - ﷺ- وللدعاة من بعده حتى لا يتأثروا بما يروه من صدود عن الحق وكفر ونفاق، وإن دلت هذه الآيات على شيء، فإنما تقطع بصدق الدعاة وحرصهم على مصلحة المدعويين، ففي هذه الدعوة نجاة وفوز عظيم.

يقول الإمام السعدي (٤): " كان الرسول -ﷺ- من شدة حرصه على الخلق، يشتد حزنه لمن يظهر الإيمان، ثم يرجع إلى الكفر، فأرشده الله -تعالى- إلى أنه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٦.

(٢) سورة المائدة، الآية:٤١.

(٣) سورة فاطر، الآية:٨.

(٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، النجدي مفسر، محدث، فقيه، أصولي، متكلم واعظ، ولد في عنيزة القصيم بنجد سنة سبع وثلاثمائة وألف من الهجرة، وحفظ القرآن، وطلب العلم على علماء نجد، درس ووعظ وافتى وخطب في جامع عنيزة، وتوفي بها سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف(معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، جـ١٣صـ٣٩٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان)

لا يأسى ولا يحزن على أمثال هؤلاء فإن هؤلاء لا في العير ولا في النفير، إن حضروا لم ينفعوا، وإن غابوا لم يفقدوا، ولهذا قال الله – تعالى– مبينًا للسبب الموجب لعدم الحزن عليهم : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ﴾ (١) فإن الذين يؤسى ويحزن عليهم، من كان معدودًا من المؤمنين، وهم المؤمنون ظاهرًا وباطنًا، وحاشًا لله أن يرجع هؤلاء عن دينهم" (٢) .

ومن عادة المعاندين المعرضين عن الحق، إلحاق الأذى القولي والفعلي بالمصلحين والمرشدين، حتى إن النبي –ﷺ– لم يسلم منهم، ولكن الله يسانده فيقول له : ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٣) وهذه الآية نزلت في المعاندين الذين هددوا وزعموا أنهم أصحاب التبع والمال،وسعوا في قهره، وإبطال أمره،فنشروا عنه الأكاذيب التي تضر بدعوته، فقالوا عنه: ليس مرسلًا، وإنه لمجنون أو شاعر،وربما كان ساحرًا، وما أتى به لا يخرج عن كونه أساطير الأوليين، وقد تلقاه عن غيره.

يقول الإمام الرازي (٤) :"واعلم أن الإنسان إنما يحزن من وعيد الغير،

---

(١) سورة المائدة، الآية:٤١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، صـ٢٣١، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى سنة١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.

(٣) سورة يونس، الآية:٦٥.

(٤) محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري، المعروف بالفخر الرازي، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، كان أشعريًا شافعيًا، أخرج من بلده بسبب اعتقاده ثم =

وتهديده ومكره وكيده، لو جوز كونه مؤثرًا في حاله، فإذا علم من جهة علام الغيوب أن ذلك لا يؤثر، خرج من أن يكون سببًا لحزنه، ثم إنه –تعالى– كما أزال عن الرسول حزن الآخرة؛ بسبب قوله : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (١) فكذلك أزال حزن الدنيا بقوله : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ (٢) (٣) .

ومن هذه العوامل: الجانب الاقتصادي المتردي، المسبب عن هلاك مال الإنسان، وهذا مما يؤثر على نفسية رب المال، وقد يسبب له الوفاة، ولنا في أمثال القرآن العبرة والعظة، فعندما نعيش مع قصة صاحب الجنتين، ندرك أنه أخذ يقلب كفيه كناية عن الحزن والندم الشديدين؛ لاضمحلال وهلاك جنته، عقوبة له على شركه بالله، وتفاخره وتكبره بنعم الله ونسبها إلى قدرته، فكان جزاؤه كما قال القرآن الكريم : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ (٤) ومن عظم حزنه وحسرته، أخذ يصفق إحدى يديه

قصد ما وراء النهر ثم عاد إلى الري وكان بها طبيب حاذق له ثروة ونعمة، يذكر ابن كثير أن الكرَّامية وضعوا عليه من سقاه سماً فمات ، وكانت وفاته سنة ست وستمائة من الهجرة(البداية والنهاية، ابن كثير، مج٧ جـ١٣ صـ٦٧)

(١) سورة يونس، الآية: ٦٢.

(٢) سورة يونس، الآية:٦٥.

(٣) مفاتيح الغيب،جـ١٧ صـ١٠٤.

(٤) سورة الكهف، الآية:٤٢.

على الأخرى أو يبدو ظهرهما ثم بطنهما ويكرر ذلك، وإنما يفعل هذا حزنًا على ما قدمت يداه، وأنفق في هذه الجنة الخاوية الساقطة على عروشها، وهو تصوير بديع لما اعتراه من غم وهم وحسرة وندامة .

فقد جرت عادة الإنسان أنه إذا نزل به ما يدهشه ويؤلمه ، أن يعجز عن النطق في أول وهلة، فإذا ما أفاق من دهشته ، بدأ في النطق والكلام ، وهذا ما حدث من ذلك الرجل – كما صوره القرآن الكريم – فإنه عندما رأى جنته، وقد تحطمت، أخذ يقلب كفيه حسرة وندامة دون أن ينطق، ثم بعد أن أفاق من صدمته جعل يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ فيا له من تصوير بديع !! (١) .

ومثل هذا المتحسر الحزين على هلاك ماله، أصحاب الحديقة، أولئك الأشقياء الذين جهلوا حق الله في مالهم، ولم يؤدوا زكاة ثمارهم، فحق عليها قول ربنا، فأصبحت جنتهم كالليل المظلم البهيم، لا ترى فيها إلا ما تخلفه النار من رماد بعدما كانت واحة خضراء مثمرة، تتدفق فيها مياه الأنهار، وتطوق النفس إلى هواها العليل، ونزهة مجلسها، وطيب غنائها، ولو أنهم ساروا على نهج والدهم، وأنصتوا إلى نصيحة أرجحهم وأعدلهم، ما مس رأس مالهم السوء، يقول الله تعالى : ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ٢٢

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الإمام الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى،جـ٨صـ٥٢٢، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م، دار نهضة مصر.

فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ (١).

ولا شك أن ضياع مال الإنسان يحزن، ولا أدل على ذلك من هذا الإشفاق والطمع من أصحاب الجنة في قولهم: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ لعل الله يعطينا أفضل منها؛ بسبب توبتنا وتوجهنا إليه سبحانه.

ومن الجانب السياسي في القرآن الكريم: أنه دعا إلى الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن المجتمع المسلم، ويترتب على ذلك اندلاع الحروب، وهنا يوجه القرآن الكريم الفئة المقاتلة، ويرشدهم إلى كيفية التخلص من الأزمات التي تواجههم في الأوقات الحرجة.

ومن المواقف التي يُثبِّت فيها القرآن الكريم المؤمنين ويحرضهم على القتال، وفي نفس الوقت يبشرهم بالنصر شريطة ألا يتسرب إلى نفوسهم الحزن والألم، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ (٢) وهذه تسلية من الله -ﷻ- لرسوله - ﷺ - وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد، والمعنى: لا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم أي أورثكم ذلك وهنًا وجبنًا، فعفو الله عنكم يزيل

(١) سورة القلم، الآيات: ١٧ - ٣٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

ما نالكم من غم القتل والجراح، وفوات الغنيمة والظفر، والجزع من إشاعة أن النبي – ﷺ – قتله المشركون .

وإذا كان الله قد جازاهم بهذا الغم؛ فذلك لكى يتمرنوا على نوائب الدهر، فلا يحصل لهم الحزن في المستقبل؛ لأن من اعتاد الحوادث لا تؤثر فيه (١) قال الله تعالى : ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (٢) .

ومن العوامل الخارجية : الموروثات الاجتماعية أو الخلفية الثقافية، كما نلاحظها عند: اليهود والنصارى والشيعة .

فمن عادات اليهود المتأصلة حزنهم حتى البكاء، والنحيب على خلفية ادعاءات متفرقة منها:

١ – الحداد على خراب معبدهم القديم أو ما يطلقون عليه " الهيكل السليماني " ، ويسميه العرب القدسيون "حائط المبكى " .

٢ – دعوة التوراة لليهود إلى النظر والندم على ما اقترفته أيديهم تجاه السيد المسيح ، وهذا يستدعى الحزن الدائم، يقول زكريا في سفره : " وَأُفِيضُ عَلَى بَيْتِ

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي، ص ٥٤ ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ– ١٩٦٩م؛ مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٥٣ .

دَاوُدَ وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ ، الَّذِي طَعَنُوهُ ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ ، وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ" (١) .

وحزنهم هذا مثل حزنهم على قتلهم للملك " يوشيا " الذي حزن الشعب عليه حزنًا شديدًا لم يكن مثله منذ قيام إسرائيل على حد تعبير التوراة التي تقول "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَعْظُمُ النَّوْحُ فِي أُورُشَلِيمَ كَنَوْحِ هَدَدْرِمُّونَ فِي بُقْعَةِ مَجِدُّونَ" (٢) و"بقعة مجدون" هو المكان الذي قتل فيه "يوشيا" ويعتقد شراح التوراة: أن هذه إشارة للمسيح الذي ناح عليه الجميع (٣) .

فالسمة الغالبة على توراة اليهود هي الحزن أفرادًا أو جماعات، فهي تقول: "وَتَنُوحُ الأَرْضُ عَشَائِرَ عَشَائِرَ عَلَى حِدَتِهَا: عَشِيرَةُ بَيْتِ دَاوُدَ عَلَى حِدَتِهَا، وَنِسَاؤُهُمْ عَلَى حِدَتِهِنَّ * عَشِيرَةُ بَيْتِ نَاثَانَ عَلَى حِدَتِهَا، وَنِسَاؤُهُمْ عَلَى حِدَتِهِنَّ* عَشِيرَةُ بَيْتِ لاَوِي عَلَى حِدَتِهَا، وَنِسَاؤُهُمْ عَلَى حِدَتِهِنَّ عَشِيرَةُ شَمْعِي عَلَى حِدَتِهَا، وَنِسَاؤُهُمْ عَلَى حِدَتِهِنَّ*كُلُّ الْعَشَائِرِ الْبَاقِيَةِ عَشِيرَةٌ عَشِيرَةٌ عَلَى حِدَتِهَا، وَنِسَاؤُهُمْ عَلَى حِدَتِهِنَّ" (٤) وفى هذا النص توجه التوراة الحديث إلى القادة والذين بدورهم يعملون على ترسيخ

---

(١) سفر زكريا : ١٢/ ١٠ .

(٢) سفر زكريا: ١٢/ ١١.

(٣) الأنبياء الصغار "زكريا" القس/ انطونيوس فكري ، ص ٥١ .

(٤) سفر زكريا: ١٢/ ١٢، ١٣، ١٤.

هذا الشعور في رعاياهم ومن تحت إمرتهم .

* ويُعَدُ الحزن أيضًا في النصرانية مشاركة للمسيح في أحزانه، ففي المزامير يقول : " انتظرت من يحزن معي فلم يوجد" (١) فهو أحد الوسائل للاتحاد مع السيد المسيح، وفي هذا يقول بولس : " إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ " (٢)

وهو أيضًا نوع من الأدب والاختبار، يقول القديس مار إسحق السرياني : " إن كنا خطاة بالأحزان نؤدب، وإن كنا قديسين فبالأحزان نختبر" (٣).

وهو نوع من التعزية، فمتى يقول: "طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ" (٤) إن الحزن هو الطريق إلى التعزية، ولهذا فمن يرفض الحزن يرفض ما تجليه الأحزان من تعزيات (٥).

فالتعزية التي يجلبها الحزن هي راحة حقيقية، ومتعة غير زائلة، كقول المرنم للرب في المزمور: "عِنْدَ كَثْرَةِ هُمُومِي فِي دَاخِلِي، تَعْزِيَاتُكَ تُلَذِّذُ نَفْسِي" (٦) فالإنسان الحزين في النصرانية موضع اهتمام الرب وانشغاله كما في اشعياء: " كَإِنْسَانٍ تُعَزِّيهِ

---

(١) سفر المزامير، ٦٩/ ٢٠.

(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهلرومية، ٨/ ١٧.

(٣) المسيح مشتهى الأجيال منظور أرثوذكسي، الأنبا/ بيشوى، صـ٢٣٣، الطبعة الثانية سنة٢٠٠٧م، الناشر مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبراري ودير القديسة دميانة.

(٤) إنجيل متى، ٥/ ٤.

(٥) المسيح مشتهى الأجيال منظور أرثوذكسي، صـ٢٣٣.

(٦) سفر المزامير،٩٤/ ١٩.

أُمُّهُ هكَذَا أُعَزِّيكُمْ أَنَا ، وَفِي أُورُشَلِيمَ تُعَزَّوْنَ " (١) وفي المعتقد النصراني، أن هذا الحزن يتحول إلى فرح، إذ يقول السيد المسيح لتلاميذه:" اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ سَتَبْكُونَ وَتَنُوحُونَ وَالْعَالَمُ يَفْرَحُ، أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ، وَلكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ * اَلْمَرْأَةُ وَهِيَ تَلِدُ تَحْزَنُ لأَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ جَاءَتْ ، وَلكِنْ مَتَى وَلَدَتِ الطِّفْلَ لاَ تَعُودُ تَذْكُرُ الشِّدَّةَ لِسَبَبِ الْفَرَحِ ، لأَنَّهُ قَدْ وُلِدَ إِنْسَانٌ فِي الْعَالَمِ * فَأَنْتُمْ كَذلِكَ، عِنْدَكُمُ الآنَ حُزْنٌ ، وَلكِنِّي سَأَرَاكُمْ أَيْضًا فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ، وَلاَيَنْزِعُ أَحَدٌ فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ" (٢) .

ومن أسباب ودواعي حزن المرء في النصرانية، الخطية يقول لوقا (٣) :" وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الضَّاحِكُونَ الآنَ، لأَنَّكُمْ سَتَحْزَنُونَ وَتَبْكُونَ" (٤) يقول يعقوب:" نَقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ، وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ * اكْتَئِبُوا وَنُوحُوا وَابْكُوا" (٥)

وهو – أيضًا – طريق إلى التوبة والرجوع إلى الله، جاء في رسالة بولس (٦)

---

(١) سفر إشعياء، ٦٦/ ١٣.

(٢) إنجيل يوحنا، ١٦/ ٢٠-٢٢.

(٣) لوقا: ولد في أنطاكية ودرس الطب ومارسه بنجاح ورافق بولس في أسفاره وشاركه في أعماله، وهو كاتب سفر أعمال الرسل، وقتل في حكم "نيرون" سنة سبعين وكتب إنجيله باليونانية.(الملل والنحل، الشهرستاني،جـ١صـ ٢٦٥، تحقيق/ أمير على مهنا وعلى فاعور، طبعة سنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، دار المعرفة، بيروت – لبنان)

(٤) إنجيل لوقا،٦/ ٢٥.

(٥) رسالة يعقوب: ٤/ ٨،٩.

(٦) اسمه العبري:" شاول أو شاؤول" ومعناه في العربية والآرامية: سائل، وفى العبرية: المطلوب أو المرغوب فيه، واسمه الروماني: بولس وهو يعنى في الأوساط الرومانية: الصغير أو الأصغر =

الثانية إلى أهل كورنثوس (١) :" اَلآنَ أَنَا أَفْرَحُ، لاَ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ، بَلْ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ لِلتَّوْبَةِ؛ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ لِكَيْ لاَ تَتَخَسَّرُوا مِنَّا فِي شَيْءٍ * لأَنَّ الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ" (٢) .

ويعلق القمص" تادرس يعقوب ملطي" على هذا النص فيقول: هنا يميز بولس بين نوعين من الحزن :

الأول : حزن حسب مشيئة اللهَّ، حزن بسبب كسر للوصية الإلهية، هذا الحزن المقدس هو من أجل التمتع ببهجة الخلاص، فلا يستريح الإنسان التائب حتى يجد

بمعنى: قليل الشأن أو الحقير، ولد في" طرسوس" - التابعة لولاية "كيليكية" من أعمال الإمبراطورية الرومانية- حوالي سنة عشر من التاريخ الميلادي من أبوين يهوديين عبرانيين(قاموس الكتاب المقدس، تأليف/ نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص من اللاهوتيين، صـ١٩٦، الطبعة السادسة سنة ١٩٨١م، منشوارت مكتبة المشعل، بيروت، لبنان) أعدم بولس بقطع رأسه وذلك في عام سبعة وستين على طريق أوستيا(معجم الحضارات السامية ،هنري. س . عَبّودي، صـ٢٤٦ الطبعة الثانية سنة ١٤١١هـ- ١٩٩١م،جروس برس، طرابلس – لبنان) مات بولس وترك خلفه أربع عشرة رسالة تشكل أربعة عشر سفراً من الإنجيل، المصدر التشريعي للنصارى ، وفي هذه الرسائل استطاع بولس بث أفكاره ومعتقداته للأجيال النصرانية المتعاقبة.

(١) كُورنْثُوس:وهي عاصمة مقاطعة أخائية في بلاد اليونان ، وكانت من المدن المشهورة، تقع على بعد أربعين ميلاً غربي أثينا في برزخ من الأرض ... كانت لكورنثوس تجارة متسعة حتى أصبحت مركزاً للغنى والترفه والعلم وأصبحت مضرباً للمثل في الخلاعة(قاموس الكتاب المقدس، صـ٧٩٧)

(٢) الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس، ٧/ ٩، ١٠.

موضعًا في الأحضان الإلهية، فيرتفع قلب التائب إلى السماء .

الثاني: حزن العالم الذي يقوم على فقدان بعض أمور العالم المادية أو المعنوية، سواء كانت ممتلكات أو حقوق زمنية أو كرامة أرضية، هذا الحزن يحطم النفس .

هنا يقدم الرسول مفهومًا إنجيليًا رائعًا للحزن حسب مشيئة اللهَّ، فإنه يدفع إلى التوبة بمعنى الرجوع إلى أحضان اللهَّ لا اليأس، ويولد إصلاحًا وتجديدًا مستمرًا، ويصحبه سلاما للهَّ وفرح داخلي، فلا يندم الإنسان أو يحزن على ممارسته للحزن المقدس .

نوعين إذًا من الحزن الواحد: حزن العالم والآخر حزن حسب مشيئة اللهَّ، حزن العالم ينشئ موتًا، بينما الحزن الآخر ينشئ توبة للخلاص (١) .

ولقد كان لهذه التعاليم أثرًا بالغًا في ترسيخ الشعور بالحزن عند اليهود والنصارى، حتى أصبح داءً عضالًا يصعب الخلاص منه،وذلك استنادًا على الأبحاث العلمية، "ففي دراسة أجريت في الولايات المتحدة على الأشخاص الذين تجاوزوا الخامسة والستين، ظهر أن أولئك الذين يؤمون الكنائس منهم معرضون للإصابة بالاكتئاب بنسبة خمسين بالمائة أقل من نظرائهم الذين لا يذهبون إلى الكنيسة، وقد جاء اليهود في المركز الأول في معدل الإصابة بالاكتئاب في الولايات المتحدة، وتلاهم مباشرة النصارى الكاثوليك، أما نسبة الإصابة بين الذكور

(١) شرح الكتاب المقدس – العهد الجديد – القمص تادرس يعقوب ملطي، http://st-takla.org.

والإناث من اليهود في الولايات المتحدة، فكانت متساوية تقريبًا" (١) .

* أما الشيعة فمن بدعهم يوم عاشوراء" الحزن الشديد البالغ درجة ضرب الخدود وشج الرؤوس وإراقة الدماء؛ لمقتل الإمام الحسين بن عليٍّ – رضي الله عنهما- وهذا الشكل من الأحزان محرم في الإسلام، ومحدث لا أصل له، وهو من ثقافاتهم الخاصة، وتعاليم رؤساؤهم الضالين المضلين، الذين حفزوهم بأحاديث اختلقوها لا أصل لها، كحديث:" الْبكاء يَوْم عَاشُورَاء نور تَامّ يَوْم الْقِيَامَة" وحديث: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَبْكِي يَوْمَ قتل حُسَيْن إِلَّا كَانَ يَوْم الْقِيَامَةِ مَعَ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُل" وحديث" من كان يوم عاشوراء يوم مصيبة وحزن وبكاء يجعل الله – ﷻ- يوم القيامة يوم فرحه وسروره" (٢) وجاء في كتب الشيعة الوصية باجتناب الملاذ فيه وإقامة سنن المصائب والإمساك عن الطعام والشراب إلى أن تزول الشمس، والتغذي بعد ذلك بما يتغذى به أصحاب المصائب كالألبان وما أشبهها دون اللذيذ من الطعام والشراب .

وهذه بدعة أصلها من المتعصبين بالباطل على الحسين-رضي الله عنه-وكل بدعة ضلالة، ولم يقل أحد من أئمة المسلمين بهذا الكلام، بل المستحب يوم عاشوراء:

---

(١) الحزن الخبيث، لويس ولبرت، صـ١١٩.

(٢) هذه الأحاديث موضوعه انظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي الشوكاني، صـ٤٤٠، تحقيق/ عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان؛ تذكرة الموضوعات، محمد طاهر الفَتَّنِي، صـ١١٩، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ه، إدارة الطباعة المنيرية.

الصيام عند جمهور العلماء، لما رواه البخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "قَدِمَ النَّبِيُّ -ﷺ- الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: "مَا هَذَا؟" قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى قَالَ: "فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ" فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ" (١) . ويفضل أن يصام معه التاسع، لما رواه الإمام مسلم من حديث عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: "حِينَ صَامَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ-يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- :"فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللهُّ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ" قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ (٢) .

وفي زيارة الحسين يوم عاشوراء من قرب وبعد، قالوا: "لْيَنْدُبِ- الزائر- الْحُسَيْنَ وَيَبْكِيهِ ويأمر من في دارهم من لا يتقيه بالبكاء عليه ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه وليعز بعضهم بعضًا بمصابهم بالحسين " (٣) .

وردًا على هذا الكلام يقول ابن تيمية (٤) :"وصار الشيطان بسبب قتل

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الصوم باب: صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، جـ٣صـ٤٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الصوم باب: أَيُّ يَوْمٍ يُصَامُ فِي عَاشُورَاءَجـ٢ صـ٧٩٧.

(٣) راجع باب: استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصابه من كتاب: وسائل الشيعة(آل البيت) الحر العاملي، جـ١٤صـ٥٠٠، تحقيق/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية سنة١٤١٤هـ، مؤسسة آل البيت، قم- إيران.

(٤) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي =

الحسين-رضي الله عنه- يحدث للناس بدعتين: بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء، من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي، وما يفضي إليه ذلك من سب السلف ولعنتهم، فإن هذا ليس واجبًا ولا مستحبًا باتفاق المسلمين، بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة، من أعظم ما حرمه الله ورسوله" (١).

وقال الحافظ ابن كثير (٢) :" فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه قتله-رضي الله عنه-فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله-ﷺ-التي هي أفضل بناته، وقد كان عابدًا وشجاعًا وسخيًا، ولكنه لا يَحْسُنُ ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع ورياء، وقد كان أبوه أفضل منه فقتل، وهم لا يتخذون مقتله مأتمًا كيوم مقتل الحسين، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل

الحنبلي، تقي الدين ابن تيمية، شيخ الإسلام، ولد سنة إحدى وستين وستمائة من الهجرة، في حران، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطُلب إلى مصر فسجن بها مدة، ثم أطلق فسافر إلى دمشق واعتقل بها ومات معتقلًا بقلعة دمشق سنة ثمان وعشرين وسبعمائة(سيرة أعلام النبلاء،جـ٢٢صـ٢٨٨؛ وفيات الأعيان، جـ٤صـ٣٨٦)

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، الإمام/ ابن تيمية، جـ٤صـ٥٥٤، تحقيق/ محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

(٢) إسماعيل بن عمر بن ضوبن درع القرشي البصروى ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين الحافظ ، مؤرخ فقيه، ولد سنة إحدى وسبعمائة من الهجرة، في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ست وسبعمائة، ثم رحل في طلب العلم، توفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة من الهجرة(الأعلام، جـ١صـ٣١٩)

السنة والجماعة، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتمًا، وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي، ولم يتخذ الناس يوم مقتله مأتمًا، وكذلك الصديق كان أفضل منه ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتمًا، ورسول الله-ﷺ-سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله، ولم يتخذ أحد يوم موتهم مأتمًا، يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين" (١).

العوامل البيئية.

ونقصد بالعوامل البيئية الاضطرابات العاطفية أو الانفعال والحزن الموسمي، وهذا النوع يصاب به بعض الأفراد نتيجة تغير فصول السنة، وتتبعها، ومن أكثر أنواعه شيوعًا "الحزن الشتائي"، وسببه: قصور النهار، وطول الليل، مما تتغير معه كمية ضوء الشمس، فتبدأ الأعراض في الظهور، وأشدها: اعتلال المزاج، وفقدان القدرة على الاستمتاع، والشعور بالنصب والتعب الشديدين.

وعلاقة ضوء الشمس بالحالة النفسية والمزاجية، أن هرمون " السيروتونين" هو أحد المواد الكيمائية والنواقل العصبية الهامة الموجودة في الدماغ، والتي تقوم وتتولى أمر تحسين المزاج، ومنع الشعور بالإحباط والاكتئاب، وضوء الشمس من الوسائل الطبيعية التي تزيد من معدلات هذا الهرمون عن طريق تحفيزه للغدة الصنوبرية المسئولة عن تنظيم إفراز الهرمونات.

---

(١) البداية والنهاية، الإمام/ ابن كثير، جـ٨صـ٢٢١، تحقيق/ علي شيري، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي.

ولقد عُرف هذا النوع من الحزن منذ زمن بعيد قد يعود إلى "أبقراط" عام أربعمائة قبل الميلاد، وقد عالج الأطباء الإغريق والرمان المصابين بهذا الداء عن طريق تعريض عيني المريض لضوء الشمس المباشر (١).

أما في العصر الحاضر فيقول "لويس ولبرت (٢) " الذي درس هذه الظاهرة وعاشها:" تنبع أهمية غياب ضوء الشمس وارتباطه بالاكتئاب الموسمي من انتشار الاضطراب الانفعالي الموسمي (SAD) بصورة واضحة في النصف الشمالي من الكرة الأرضية حيث تزداد الأعراض وضوحًا كلما قصرت فترة النهار، وطالت مدة الليل في تلك المناطق، كما تظهر الأعراض ذاتها عند أولئك الذين يعملون في المناطق الشمالية داخل غرف لا يدخلها ضوء الشمس" (٣) وعلى الرغم من أن هذه الحالة تحدث عادة في فصلي الخريف والشتاء إلا أن هناك من يعاني من هذه الحالة خلال فصل الصيف.

---

(١) الحزن الخبيث، لويس ولبرت، صـ١٢٢.

(٢) ولد لويس ولبرت في جنوب إفريقيا، وتلقى تعليمه في جامعة إمبيدريال كوليج في لندن، وحصل على شهادة الدكتوراه في البيولوجيا الطبية من كينجز كوليدج لندن، يشغل ولبرت منصب أستاذ فخري في علم الأحياء في قسم التشريح والبيولوجيا التطورية في جامعة لندن، وتنصب اهتماماته البحثية على دراسة تطور الأجنة، ويرأس عدة جمعيات علمية وإنسانية، بالإضافة إلى عمله الأكاديمي .

(٣) الحزن الخبيث، لويس ولبرت، صـ١٢٣.

المبحث الثاني

موقف الإسلام من الحزن

لم يأت الحزن في القرآن الكريم إلا منهيًا عنه أو منفيًا، فالمنهي عنه كقوله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ (١) وهذه الآية قاعدة ومبدأ أساسي لنا في هذه الحياة، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ (٣).

والمنفي كقوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (٥) وقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ (٦).

يقول العلامة ابن القيم (٧): " اعلم أن الحزن من عوارض الطريق، ليس

---

(١) سورة آل عمران، الآية:١٣٩.

(٢) سورة الحجر، الآية:٨٨؛ سورة النحل، الآية:١٢٧؛ سورة النمل، الآية:٧٠.

(٣) سورة التوبة، الآية:٤٠.

(٤) سورة البقرة، الآية:٣٨؛ سورة المائدة، الآية:٦٩؛ سورة الأنعام، الآية:٤٨؛ سورة الأعراف، الآية:٣٥؛ سورة الأحقاف، الآية:١٣.

(٥) سورة فصلت، الآية:٣٠.

(٦) سورة الأنبياء، الآية:١٠٣.

(٧) محمد ابن أبى بكر ابن أيوب ابن سعد الزرعي الدمشقي أحد كبار العلماء مولده وفاته في دمشق =

من مقامات الإيمان، ولا من منازل السائرين؛ ولهذا لم يأمر الله به في موضع قط ولا أثنى عليه، ولا رتب عليه جزاءً ولا ثوابًا بل نهى عنه في غير موضع" (١) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نهى عنه في مواضع وإن تعلق بأمر الدين... وذلك لأنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة فلا فائدة فيه ومالا فائدة فيه لا يأمر الله به" (٢) .

وهذا من أسباب الغرض القرآني لهذا العارض الغير مرغوب فيه، بالإضافة إلى ما سبق، فإنه لا مصلحة فيه للقلب، فهو يضعفه، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (٣) فقد أسند-سبحانه- النجوى للشيطان؛ لكونه المزين لها والحامل لهم من التوهم أنها في مكيدة يكادون بها، أو أن وراء هذه النجوى أخبار سيئة تتعلق بهم أو بذويهم.

على أن الشيطان ينتهز تلك الخفقة فرصة يكون فيها أملك على إفساد المؤمنين، وإخراجهم من طاعة الله إلى معصيته، إذ أن من محصلة الحزن: فقدان

تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وأطلق بعد موت ابن تيمية، وكان حسن الخلق محبوبًا عند الناس وله مصنفات كثيرة مفيدة، توفى سنة إحدى وخمسين وسبع مائة من الهجرة(الأعلام، جـ٦ صـ٥٦).

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص ٢٧٨.

(٢) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام/ تقي الدين ابن تيمية، جـ١٠صـ١٦، تحقيق/ أنور الباز وعامر الجزار، الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار الوفاء.

(٣) سورة المجادلة، الآية:١٠.

التفكير، وتعطيل آلة الإدراك، ليصبح الإنسان في تلك الحالة فريسة سائغة لمخالب الشيطان ووساوسه، قصدها وظفر بها.

يمكن أن نقول: إن الإسلام ينهي عن المداومة على الحزن وما يلازمه للأسباب التالية :

١ – لأنه يضعف القلب، ويوهن العزم، ويخزل الإرادة، وبهذه العوارض يصبح مرضًا من أمراض القلوب، يمنعه من النهوض والسير على طريق الجدة.

٢ – الحزن مدخل من مداخل الشيطان الذي يصيب الإنسان بالحزن ليحبطه فيقعد عن عمل الصالحات، ويصبح ممهدًا لتلقي الهواجس والخطرات الشيطانية وبعدها يصبح المرء صريع الهموم والأحزان.

٣ – ينهي الإسلام عن المداومة على الحزن؛ لأنه ليس فيه منفعة للإنسان، وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به .

أما ما ورد من نصوص توهم التعارض، وتدل على أن الحزن مقام ينبغي طلبه واستيطانه، فلا تعارض في الحقيقة مع ما قيل، فقوله تعالى : ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (١) فلم يُمْدَحُوا على نفس الحزن، وإنما مُدِحُوا على ما دل عليه الحزن من قوة إيمانهم، حيث تخلفوا عن رسول الله – ﷺ–

(١) سورة التوبة، الآية:٩٢.

لعجزهم عن النفقة، ففيه تعريض بالمنافقين الذين لم يحزنوا على تخلفهم، بل غَبَطُوا نفوسهم به (١).

والإمام ابن تيمية يرى أن الحزن لا يحمد لذاته، وإنما يحمد لسببه ومصدره ولا زمه، فهو يقول :" قد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه ويحمد عليه، فيكون محمودًا من تلك الجهة لا من جهة الحزن، كالحزين على مصيبة في دينه، وعلى مصائب المسلمين عمومًا، فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير، وبغض الشر، وتوابع ذلك، ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهاد، وجلب منفعة، ودفع مضرة، كان مذمومًا من تلك الجهة" (٢).

وأما قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ (٣) فهو إخبار عن حالة بمصابه بفقد ولده وحبيبه، وأنه ابتلاه بذلك كما ابتلاه بالتفريق بينه وبينه .

وأما قوله ﷺ:" مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ" (٤).

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، صـ٥٠١.

(٢) أمراض القلوب وشفاؤها، الإمام/ ابن تيمة،صـ٤٣، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

(٤) صحيح البخاري، كِتَابُ: تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ المَرَضِ، جـ٧ صـ١١٤.

فهذا يدل على أنه مصيبة من الله يصيب بها العبد، يكفر بها من سيئاته لا لكونه مرغوب فيه ومطلوب، ويعد الحزن- أيضًا- مرضًا من أمراض الباطن "أمراض النفس" ولذلك ساغ عطفها على الوصب وهو المرض.

أما ما ورد في صفته-ﷺ-أن سمته كان الحزن المتواصل، فقد روى هذا هند ابن أبى هاله (١) في صفة النبي-ﷺ- أنه (مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ) (٢) فهذا الحديث ضعيف جدًا (٣) (٤) .

وحاله-ﷺ- ينكر هذا الخبر، فكيف يكون متواصل الأحزان، وقد حفظه الله – تعالى-في الدنيا وعليها ، ونهاه عن الحزن على المشركين والمنحرفين عن الحق، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال له : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ

(١) هند بن أبي هالة الأسيدي التميمي ربيب رسول الله -ﷺ- أم خديجة بنت خويلد خلف عليها رسول الله -ﷺ- بعد أبي هالة، واختلف في اسم أبي هالة فقيل نباش وقيل نباش بن زرارة، قتل مع علي بن أبي طالب يوم الجمل(الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ٤صـ١٥٤٤،.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، جـ٢٢صـ١٥٥، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

(٣) مختصر الشمائل المحمدية، الترمذي،صـ١٨-٢٠، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان-الأردن.

(٤) وله علتان: الأولى: جهالة أبي عبد الله التميمي، قال الحافظ وغيره: "مجهول" الثانية: ضعف جميع بن عمير هذا، واتهمه بعضهم(انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ناصر الدين الألباني، جـ٥ صـ٨٥، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، مكتبة المعارف، الرياض)

فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [١] فمن أين يأتيه الحزن ؟ بل ورد انه -ﷺ- كان ضحوك السن دائم البشر، فهذه كلها آثار وأخبار لا يعول عليها في هذه القضية .

ومع هذا نريد ننوه إلى أنه طالما كان الحزن من عوارض الطبيعة البشرية وانفعال من الانفعالات اللازمة للإنسان فإن الشرع الحنيف لا ينهى عنه نهى تحريم؛ لأنه خارج عن سلطان المرء، والشرع لا يكلف مالا يطاق، فلا يكون محرمًا ما دام مقتضاه صحيحًا، وبالنظر إلى المقتضى وجدنا أن النصوص التي جاءت في الحزن تصنفه كالآتي :

أولًا : إذا أمعنا الفكر في حال الفقراء الذين لم يجدوا النفقة والراحلة، ليبلغوا إلى مغزاهم لجهاد أعداء الله في غزوة تبوك وقد نزل فيهم قول الله تعالى : ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [٢] أدركنا أن الحزن على فوات الطاعة من باب المستحبات التي تدل على إيمانيات المرء،وإخلاصه، ورقة قلبة، وشدة خشيته ومسارعته إلى قبول الحق، ففي هذه الحالة يُعطى أجر العمل كاملًا وإن قعد ولم يقم به، يقول النبي ﷺ : "إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ:"وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ،

---

(١) سورة الضحى، الآية:٥.

(٢) سورة التوبة الآية: ٩٢.

حَبَسَهُمُ العُذْرُ" (١) .

من هذا الضرب – أيضًا- الحزن على فعل المعصية، وهو شرطٌ من شروط التوبة النصوح، والمتمثِّل في الندم على فعل المعصية، والندم يعنى: الحسرة والحزن على ما فات، وما مضى من الذنوب، هذه الحسرة، وتلك الحزن، هما الركن الأساسيِّ في قبول التوبة .

يقول الإمام الغزالي (٢) : " التوبة عبارة عن ندم حتى جاء في الحديث:" النَّدَمُ تَوْبَةٌ" (٣) ، والندم هو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب،وعلامته طول الحسرة والحزن، وانسكاب الدمع وطول البكاء، على نزول العقوبة من المعاصي" (٤) ويقول: "وأما الحزن المحمود فهو حزن الإنسان على تقصيره في أمر

---

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ:كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ:نُزُولِ النَّبِيِّ -ﷺ-الحِجْرَ، جـ٦ صـ٨.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، ولد سنة خمسين وأربعمائة بالطابران، تفقه ببلده أولاً، ثم تحول إلي نيسابور فلازم إمام الحرمين، ثم عاد إلي وطنه طوس، وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون، وتفرغ من التصنيف سنة ثلاث وخمسمائة، توفي سنة خمس وخمسمائة من الهجرة.(سيرة أعلام النبلاء،جـ١٩صـ٣٢٢؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ٤ صـ٢١٨؛ الأعلام جـ٧ ص٢٢؛ موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، جـ٢ صـ٨٠، الطبعة الأولى سنة١٩٨٤م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر)

(٣) روى الإمام الحاكم في مستدركه، وأحمد في مسنده، أن عَبْدِ اللهَّ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى عَبْدِ اللهَّ، فَقَالَ أَبِي : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ -ﷺ-يَقُولُ : " النَّدَمُ تَوْبَةٌ " قَالَ : نَعَمْ، أَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ :" النَّدَمُ تَوْبَةٌ "المستدرك على الصحيحين، كِتَابُ: التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، جـ٤ ص ٢٧١؛ مسند الإمام أحمد، جـ٦ ص ٣٧، جـ٧ص ١١٥ .

(٤) انظر إحياء علوم الدين، الإمام/ أبو حامد الغزالي، جـ٤صـ٣٤، دار المعرفة، بيروت– لبنان.

دينه، وبكاؤه على خطاياه، والبكاء والتباكي، والحزن والتحازن على ذلك محمود، وتحريك هذا الحزن وتقويته مطلوب؛ لأنه يبعث على التشمير للتدارك ولذلك كانت نياحة داود -عليه السلام- محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب" (١) .

والشعور بالحزن على ارتكاب المعاصي من علامات الإيمان قال ﷺ : " إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ " (٢) أي إذا عملت حسنة ووجدت حلاوتها في قلبك ففرحت وسررت بتوفيق الطاعة، وإذا فعلت سيئة ووقع في قلبك حزن ومساءة فأنت مؤمن، فإن المؤمن الحق الموقن بالثواب والعقاب، يميز بين الطاعة والمعصية،وهذا هو القلب المفضل عند الله والذي قصده النبي-ﷺ- بقوله:"إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ" (٣) إما القلب الفارغ الذي لا يكترث لذلك، فيقول عنه مالك بن دينار (٤) : " إن القلب إن لم يكن فيه حزن خرب، كما أن

---

(١) إحياء علوم الدين، جـ٢صـ٢٧٦، ٢٧٧.

(٢) مسند الإمام أحمد،جـ٣٦ صـ٤٩٧، ٥٣٧.

(٣) رواه الإمام الحاكم، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المستدرك على الصحيحين،كِتَابُ: الرِّقَاقِ،جـ٤صـ٣٥١، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى سنة ١٤١١ه- ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

(٤) مالك بن دينار مولى لبنى ناجية بن سامة بن لؤي بن غالب القرشي أبويحيى، من زهاد التابعين وعبادهم، ولد في أيام ابن عباس، وسمع من أنس بن مالك، فمن بعده، وحدث عنه، وثقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري، وحديثه في درجة الحسن، قال علي بن المديني: له نحو من أربعين حديثًا، توفي سنة سبع وعشرين ومائة، وقال ابن المديني: سنة ثلاثين ومائة.(سير أعلام النبلاء،جـ٥صـ٣٦٢)

البيت إذا لم يسكن خرب " [١] فالقلب إذا لم يساكنه حزن على فوات الطاعة، وحزن على اقتراف معصية، وفوات أمر من أمور الخير، فإن ذلك القلب يكون خربًا بقدر ما فاته من الحزن .

ثانيًا : الحزن المشروع : وهو ما كان بدمع العين، ورقة النفس، ولم يكن تسخطًا لأمر الله تعالى، إذ الفطرة مجبولة على الحزن عند فقد عزيز، وغياب حبيب، ولنا في رسول الله -ﷺ- ونبي الله يعقوب -عليه السلام- الأسوة الحسنة، والقدوة الصالحة، فالنبي-ﷺ- انتابه حزن شديد عند موت إبنه إبراهيم-عليه السلام- وقال وقتذاك:"يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ"، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ :" إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ" [٢] والتعبير بالجمع "لَمَحْزُونُونَ "فيه إشارة إلى أنه هو وأصحابه ومن يحبه حَزانَى بحزنه،كما أنه عبر بصيغة المفعول لا بصيغة الفاعل؛ ليد على أن الحزن واقع بهم من غيرهم، وليس من فعلهم، ولا يكلف الإنسان بفعل غيره.

وقوله ﷺ : " إِنَّهَا رَحْمَةٌ " فيه دلالة على أن الدمعة التي تراها في العين من أثر الحزن، رحمة جعلها الله في قلوب عباده تنبعث عن التأمل فيما هو عليه، لا ما توهمه " عبد الرحمن بن عوف " أن بكاء النبي-ﷺ- ناشئ عن جزع وقلة صبر، ويخالف ما عهده على النبي-ﷺ-من الحث على الصبر والنهي عن الجزع .

---

(١) صفة الصفوة، الإمام/ أبو الفرج بن الجوزي، جـ١صـ١٣١،تحقيق/ أحمد بن علي، طبعة سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، دار الحديث، القاهرة- مصر.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ: الجَنَائِزِ، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : " إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ " ، جـ٢ ص ٨٣ .

ولما فقد نبي الله يعقوب -ﷺ- أحب أبنائه إليه، حزن عليه حزنًا شديدًا، وقد سجل القرآن الكريم هذه الحالة، وفيها يقول الله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ (١) .

فالحزن على الفقيد وفاءً له، ورقة عليه، مباح لا شيء فيع، مالم يكن سخطًا للقضاء وتشكيًا به، روى الإمام أحمد (٢) والحاكم (٣) وصححه، عن أبي هريرة ﷺ (٤) قال: مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ آلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاجْتَمَعَ النِّسَاءُ يَبْكِينَ عَلَيْهِ فَقَامَ عُمَرُ يَنْهَاهُنَّ وَيَطْرُدُهُنَّ، فَقَالَ: ﷺ: "دَعْهُنَّ فَإِنَّ الْعَيْنَ دَامِعَةٌ وَالْقَلْبَ مُصَابٌ وَالْعَهْدَ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

(٢) هو أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني المروزي ثم البغدادي قدم به أبوه من مرو مدينة بخرسان وهو حمل فوضعته أمه ببغداد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة وتوفى أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه توفى سنة إحدى وأربعين ومائتين وله من العمر سبع وسبعون سنة رحمة الله (البداية والنهاية، مج٥ جـ١٠ صـ٣٥٢)

(٣) الحاكم بن البيع النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمراويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهاني، المعروف بالحاكم النيسابوري، ولد في شهر ربيع الأولى سنة إحدى وعشرين وثلاثة مائة بنيسابور، إمام أهل الحديث في عصره، والمؤلف فيه من الكتب التي لم يسبق إلى مثلها، توفى سنة خمسة وأربعمائة (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ٤ صـ٢٨١)

(٤) عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، ولد سنة إحدى وعشرين قبل الهجرة يتيمًا ضعيفًا في الجاهلية،وقدم المدينة ورسول الله -ﷺ- بخيبر، فأسلم سنة سبع من الهجرة ، ولزم صحبة النبي-ﷺ- وولى إمرة المدينة مدة، وتوفى فيها سنة تسع وخمسين من الهجرة (سيرة أعلام النبلاء، جـ٢صـ ٥٧٨، والأعلام، جـ٣ ص ٣٠٨)

قَرِيبٌ" [١] فعذرها -ﷺ- مع قرب العهد، وفوران الحزن.

وحتى الحزن عند المريض أجازه النبي ﷺ، روى الإمام البخاري [٢] بسنده، من حديث عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا قَالَ:اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ -ﷺ- يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمْ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ فَقَالَ قَدْ قَضَى قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللهَّ فَبَكَى النَّبِيُّ -ﷺ- فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ -ﷺ- بَكَوْا فَقَالَ أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللهَّ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ" [٣] فدمع العين، وحزن القلب، لا ينافيان الرضا بالقضاء القدر، فهما من خلق الله، كما خلق الموت والحياة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ [٤] وعلى الإنسان العمل لدفع أسباب هذا الحزن، والتدرع والشكوى إلى الله-ﷻ- اقتضاءً بني الله

---

(١) مسند الإمام أحمد، جـ١٠ص١٣٠، جـ١٥صـ٤٥٦؛ المستدرك على الصحيحين، كِتَابُ: الْجَنَائِزِ، جـ١ ص ٥٣٧ .

(٢) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة في بخارى، نشأ يتيماً وقام برحلة طويلة في طلب الحديث، وسمع من نحو ألف شيخ،وجمع نحو ستمائة ألف حديث، اختار منها في صحيحه ما وثق بروايته، سنة ست وخمسين ومائتين بخرتنك (وفيات الأعيان، جـ ٤ ص ١٨٩) .

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ:الجَنَائِزِ، بَابُ:البُكَاءِ عِنْدَ المَرِيضِ، جـ٢ صـ٨٤.

(٤) سورة النجم، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

يعقوب-عليه السلام- حينما قال : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ ﴾ (١) .

ثالثًا : الحزن المكروه، ويكون على فوات منفعة دنيوية، ومتعه من متاعها الفاني، التي لا يستحق التحسر عليه،يقول الإمام القشيري (٢) : "وتكلم الناس في الحزن فكلهم قالوا: إنما يحمد حزن الآخرة، وأما حزن الدنيا فغير محمود" (٣)

وكيف يحزن المرء بعدما علم أن المقادير تجري بأمر الله، وهي سابقة قد جف بها القلم، وليس الأمر أنف إلا ما شاء الله، يقول الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ (٤) وروى الإمام مسلم (٥) من حديث عَبْدِ اللهِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ:سَمِعْتُ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٦.

(٢) أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة القشيري الخرساني النيسابوري الشافعي المفسر الصوفي صاحب "الرسالة القشيرية" ولد سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، تقدم فى الأصول والفروع وصحب العارف أبا على الدقاق، وتزوج بابنته، وجاءه منها أولادًا نجباء، وله مصنفات كثيرة نافعة ، توفى سنة خمس وستين وأربعمائة من الهجرة، وقد عاش تسعين سنة(سيرة أعلام النبلاء، جـ١٨ صـ٢٢٧؛ والأعلام ، جـ٤ ، صـ٥٧)

(٣) الرسالة القشيرية، صـ٢٦٨؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، جـ١ صـ٥٠٣؛ جامع الأصول في الأولياء"الطرق الصوفية"، صـ٢٦٠.

(٤) سورة الحديد، الآية:٢٢.

(٥) الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسن: حافظ من أئمة الحديث، =

رَسُولَ اللهَّ -ﷺ- يَقُولُ:" كَتَبَ اللهُّ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" (١) فجميع مصائب العبد بقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علم الله -تعالى- وجرى به قلمه، فلما يحزن المرء والأمر كله بمشيئته وحكمته، قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (٢).

قال علقمة (٣): " هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويُسلِّم" (٤).

فالمؤمن مأمور بأن يرضى بما قسمه الله له،ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وبذلك يطمئن قلبه،ويدرك أنه لا مجال للحزن؛لأن الأمر الإلهي ماض، والمشيئة الربانية نافذة،وأن ما ينتابه من حزن على حكام الدنيا، إنما هو

ولد سنة أربع ومائتين من الهجرة في نيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق،وتوفى بظاهر نيسابور سنة إحدى وستين ومائتين من الهجرة(الأعلام، جـ٧صـ٢٢٢)

(١) صحيح مسلم، كتاب:الْقَدَرِ، باب: حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، جـ٤، صـ٢٠٤٤.

(٢) سورة التغابن، الآية:١١.

(٣) علقمة بن قيس بن عبدالله، أبو شبل النخعي الكوفي، ولد في حياة النبي -ﷺ- ولحق الجاهلية وجَوَّد القرآن علي ابن مسعود وتفقه به وكان فقيهًا إمامًا بارعًا ثبتًا فيما ينقل توفي سنة اثنتين وستين من الهجرة.(تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي،جـ١٤صـ٢٤٠تحقيق الدكتور/ بشار عواد معروف، الطبعة الاولي سنة١٤٢٢– ٢٠٠١م،دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان؛ تذكرة الحفاظ، الإمام/ الذهبي، جـ١صـ٤٨، دار إحياء التراث العربي)

(٤) مجموع الفتاوى، جـ٢صـ١٠٩.

ناتج عن أفكار ووساوس شيطانية تدخل وتتعمق في فكر الإنسان، وتجعل كل همه الدنيا، ومما هو معلوم أن حب الدنيا هو رأس كل خطيئة.

رابعًا : الحزن المحرم ، هو الحزن على فوات معصية، يقول الإمام ابن القيم : " وفرحُك بالذنب إذا ظفرت به، أعظمُ من الذنب، وحزنُك على الذنب إذا فاتك، أعظمُ من الذنب" (١) .

ومن هذا النوع، إذا صاحب الحزن ما يخرجه من الإباحة إلى الحرمة: كلطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية: كالنياحة والنُّدْبَة، وكل ما يظهر الجزع والسخط على قدر الله في أفعاله، قال ﷺ "لَيْسَ مِنَّا : مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ " (٢) وفقه الحديث يدل على أن حبس هذه الأشياء هو حقيقة الصبر، فالصبر إذًا في الشرع هو: حبس اللسان عن التشكي، وحبس القلب عن التسخط، وحبس الجوارح عن إظهار السخط بشق أو نحو ذلك.

ومن الحزن المحرم،ما يكون على الخائنين لله ورسوله، ومن أعرضوا عن الحق، بعدما تبين لهم، يقول الله-تعالى- لنبيه ﷺولأمته ينهاهم عن هذا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ (٣) ويقول سبحانه : ﴿ فَلَعَلَّكَ

(١) الداء والدواء، الإمام/ ابن قيم الجوزية،صـ١٢٦، تحقيق/ محمد أجمل الإصلاحي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٩هـ ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ:الجَنَائِزِ، بَابُ:لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الجُيُوبَ، جـ٢ صـ٨١.

(٣) سورة المائدة، الآية:٤١.

بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ (١) ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (٢) ويقول سبحانه : ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ (٣) ففي هذه الآيات ينهي الله رسوله -ﷺ- أن يحزن على المسارعين في الكفر، الخارجين عن طاعة الله، وطاعة رسوله -ﷺ- المستكبرين بآرائهم وأهوائهم على شرائع الله - تعالى- فليس لهم وزن عند الله حتى يحزن عليهم المرء المسلم.

(١) سورة الكهف، الآية:٦.

(٢) سورة النحل، الآية:٧٠.

(٣) سورة فاطر، الآية:٨.

الفصـــل الثـالـــث

أعـراض الحـزن وآثـاره، وعـلاج الإسـلام لـه

ويتكـون من مبحثين

المبحـث الأول: أعـراض الحـزن وآثـاره.

المبحث الثاني: عـلاج الإسـلام للحـزن .

الفصـــل الثالـــث

أعـراض الحـزن وآثـاره، وعـلاج الإسـلام لـه

المبحـث الأول : أعـــراض الحـــزن وآثـــاره .

للحزن أعراض وجدانية، وأعراض ذهنية، وأخرى بدنية:

* أما الأعراض الوجدانية فتتمثل في :

١ – الشعور بالكآبة، وضيق الصدر– كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ– كما تضيق عليه الدنيا بما رحبت، ومن ثم تضيق عليه نفسه التي بين جنبيه.

٢ – الانعزال واللجوء إلى الكهف المظلم، فلا يرى للأمل بصيصًا ولا للتفائل بابًا وسبيلًا.

٣ – تفارقه السعادة والابتهاج، وتصاحبه الكراهية لنفسه وللآخرين.

٤ – الشعور باقتراب الأجل، والدخول في دائرة اليأس من رحمة الله، وعندها ينهال بالبكاء بدون أسباب ودواعي، وهذه المرحلة يسميها علماء النفس "بالاكتئاب" وهي مرحلة متقدمة من الحزن.

* أما الأعراض الذهنية فنلاحظ عليه الآتي:

١ – شرود الذهن ، وعدم التركيز .

٢ – سبق الوهم إلى العكس، ومظاهر هذه النظرية تلاحظ في:

أ – الفهم الخاطئ لمراد الآخر، وما يكن به صدره.

ب – الإصابة ببعض الأفكار الخاطئة،والشكوك المرضية،كالنظرة العدائية من الآخر، والإحساس بعدم القبول من الناس خاصة، ومن المجتمع عامة.

٣ – سيطرة النفس اللوامة عليه في كل صغيرة وكبيرة، وبدرجة شديدة تعوقه عن ممارسة حياته الاجتماعية.

* أما الأعراض البدنية فأشدها وطأة على المصاب بالحزن.

١ – فقدان الشهية للطعام والشراب، مما يتسبب في خمول جسدي، وفتور بدني.

٢ – تصاحبه في بعض الأحيان آلام متفرقة من بدنه.

٣ – أما حاله مع النوم، فطائفة من الناس عندما يمتلكها الحزن، ويسيطر عليه الهم يخلد إلى نوم عميق، وسباط طويل على غير الطبيعي، وكأن هذا الحزن يتفاعل مع البدن كتفاعل المواد الكيمائية المهدئة والمنومة والتي تثبط الجهاز العصبي المركزي .

أما الطائفة الثانية، فيعانون من الأرق وعدم النوم، وكأن الحزن يعمل على إطلاق بعض المواد المنبه – من خلال الجهاز العصبي والمخ – تؤدي بدورها إلى الإحساس باليقظة.

فالحزن من الانفعالات الطبيعية عند الإنسان، فهو عَرَض جبلي فطري ينتاب بني البشر عندما يقعون تحت وطأة وظروف الحياة ومحنها،فهذا العرض متنفس

للتعبير عن الحالة المزاجية والوجدانية ولا يمكن الاستغناء عنه أو التخلص منه، ولذا يجب التحكم فيه وعدم الإسراف بحيث يصبح في حيز المعقول الذي يجعل الإنسان في حالة انسجام واتزان مع نفسه ومع الآخرين،أما الحزن الزائد عن حد المعقول،فقد يترك آثار جسيمة، ونتائج وخيمة على البدن.

فإذا ما تحققت الأعراض السابقة في شخص ما، ولم يستطع الخلاص منها فقد تؤثر على حياته، وبناءً على ذلك فإن الآثار المترتبة على الحزن الشديد إذا لم يكن الموت، فقد تجعل صاحبها يعاني من أعراض عصبية وتوترات حادة، وهذا ما كشفت عنه الأبحاث العلمية الحديثة، حيث يؤدي الحزن الشديد بصورة مباشرة إلى تلف خلايا المخ، وأكثر الناس حزنًا أقربهم للإصابة الدماغية.

إن الحزن يشل العقل فيعوقه عن القيام بدوره، وتولي مسئوليته وعمله، فلا تصل أوامره للأعضاء والغدد، فينشأ عن هذا التوقف أمراضًا مختلفة، أبرزها سوء الهضم الذي ينتج عنه أمراضًا كثيرة.

وتحليل آخر يوضح فيه الأطباء أن الحزن يحفز الغدد المسئولة عن هرمونات التعصب" كهرمون الأدرينالين والكورتيزول" ومما هو معلوم أنه عند رفع إفراز هذه الهرمونات قد يصاب الإنسان بارتفاع ضغط الدم، وزيادة سرعة ضربات القلب، وارتفاع التنفس، يصاحب ذلك اضطرابات الهضم، وعلى أثر ذلك يسقط جهاز المناعة المسئول عن الحماية والدفاع، وهنا تبدأ الأمراض المختلفة بالهجوم على بدن الإنسان حتى تقضي عليه.

ومن جانب آخر يشير الدكتور"مانيو وافي"- أحد الباحثين في معهد بت سيندا الدنماركي- إلى أن هناك مركزين يقعان على جانبي الدماغ وهما مسؤولان عن حالات الإحساس والمشاعر، ويتحكمان في العواطف، ويتصديان لأي ضغوط عصبية وعاطفية، وإن الحزن الشديد يعرض خلايا جانبي المخ إلى التلف وهو ما قد يساهم في فقدان الذاكرة أو التعرض لإصابات دماغية أخرى (١).

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، ووضح أن الحزن سبب للوفاة، فقال - تعالى- لنبيه ومصطفاه ﷺ ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٢) والمعنى: فلا تهلك نفسك حزنًا على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك، فالذهاب بالنفس سببه هو الحزن .

ومن الشواهد على خطر الحزن، ما حدث لنبي الله يعقوب -عليه السلام- من إصابة ببياض العين المذهب للبصر، يقول الله تعالى : ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٣) .

والحزن في هذه الآية يعكس بعدًا نفسيًا عميقًا، فقد كان لفقدان يوسف –

---

(١) مقال بعنوان " الحزن والاكتئاب يؤديان إلى موت خلايا الدماغ " الدكتور/ مانيو وافي، بتاريخ الجمعة ١٤ / ١٠ / ١٤٢٥ هـ - الموافق ٢٦ / ١١ / ٢٠٠٤ م (الجزيرة نت : **www.aljazeera.net**) .

(٢) سورة فاطر، الآية:٨.

(٣) سورة يوسف، الآية:٨٤.

عليه السلام- أثرًا مؤلمًا في نفس أبيه مما جعله يفقد عيناه، ويُفهم من هذه الآيات أن يعقوب لم يكن فاقدًا لبصره، لكن المصائب الأخيرة وشدة حزنه ودوام بكائه أفقده بصره.

ولقد اعتنى الإسلام عناية كبيرة بصحة الإنسان، فسن له المبادئ والأسس التي تحقق له حياة آمنة مطمئنة، خالية من الأمراض، ومن هنا كان لابد من وقفة مع الحزن، ولما لا وهو أحد المخاطر التي تهدد صحة الإنسان وتعرضها للخطر.

المبحث الثاني

علاج الإسلام للحزن

إن النفس الإنسانية تسعى دائمًا إلى جلب الفرح والسرور، ودفع الحزن والغم والهم، فهي أمراض مؤلمة والتخلص منها مطلب إنساني، فمن الواجب والمطلوب دفع هذه الآلام النفسية، مثلما نعني بدفع آلام أجسامنا، وعن هذا يقول الكندي:"فإصلاح النفس وإشفاؤها من أسقامها، أوجب علينا من إصلاح أجسامنا، فإننا بأنفسنا نحن ما نحن، لا بأجسامنا، وأجسامنا آلات لأنفسنا تطهر بها أفعالها، فإصلاح ذواتنا أولى بنا من إصلاح آلاتنا" (١).

وفي سبيل الشفاء من هذا الداء العضال،يجب التضحية والصبر على العلاج أضعاف ما نتحمله في التخلص من المرض العضوي، مع العلم بأن التخلص من المرض النفسي أقل جهدًا من الأول، يقول الكندي:"فينبغي أن نحتمل في إصلاح أنفسنا من بشاعة العلاج وصعوبته واحتمال المؤن فيه أضعاف ما نحتمل من ذلك في إصلاح أجسامنا، مع أن إصلاح أنفسنا أقل بشاعة وأخف مؤونه كثيرًا مما يلحق في ذلك من إصلاح الأجسام؛لأن إصلاح أنفسنا إنما هو بقوة العزم على المصلح لنا، لا بدواء مشروب، ولا بألم حديد ولا نار، ولا بإنفاق مال" (٢).

لهذا كان العلاج الإسلامي بعبادات جاء بها الشرع الشريف تبعث الطمأنينة

---

(١) الكندي،رسالة في الحيلة لدفع الأحزان، ضمن رسائل فلسفية،صـ١١.

(٢) الكندي، رسالة في الحيلة لدفع الأحزان، ضمن رسائل فلسفية، صـ١٢.

والسرور في القلب، فينشرح الصدر، وخلاف هذا العلاج لا يزيد المصاب إلا خبالًا.

ولله در الإمام ابن القيم حين يصنف الهم والغم والحزن، ويلقي لنا الضوء على الوسائل المشروعة والمحرمة في الإسلام، وآثارها على النفسية والمزاج فيقول:

مرض القلب نوعان:

النوع الأول: لا يتألمَّ به صاحبه،كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات؛ لأن سَكْرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم؛ وإلا فألمه حاضرٌ فيه، حاصلٌ له، وهو متوار عنه باشتغاله بضده.

والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال، كالهمّ والغمّ والحَزَن والغيظ، وهذا المرض قد يزول بأدوية طبعية، كإزالة أسبابه، أو بالمداواة بما يضاد تلك الأسباب، ويدفع مُوجَبها مع قيامها.

وكما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن، ويشقى بما يشقى به البدن، فكذلك البدن يتألم كثيرًا بما يتألم به القلب، ويُشقيه ما يُشقيه.

وأما أمراضه التي لا تزول إلا بالأدوية الإيمانية النبوية، فهي التي توجب له الشقاء والعذاب الدائم إن لم يتداركها بأدويتها المضادة لها، فإذا استعمل تلك الأدوية حصل له الشفاء.

والغم والهم والحزن أمراض للقلب،وشفاؤها بأضدادها من الفرح

والسرور، فإن كان ذلك بحق اشتفى القلب وصحَّ وبرئ من مرضه،وإن كان بباطل توارَى ذلك واستتر ولم يَزُلْ، وأعقبه أمراضًا هي أصعب وأخطر (١).

وهذه الأمراض قد تنوَّع الناس في طرق أدويتها، والخلاص منها، وتباينت طرقهم في ذلك، فكل واحد يسعى في التخلص منها، بما يظن أو يتوهم أنه يخلصه منها، وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيدها إلا شدة لمن يتداوى منها بالمعاصي على اختلافها، كالتداوي باللهو واللعب والغناء، وسماع الأصوات المطربة وغير ذلك، فأكثر سعي بني آدم إنما هو لدفع هذه الأمور والتخلص منها، وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي وصفه الله لإزالتها، وهو دواء مركب من مجموعة أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره (٢).

وهذا الدواء المركب – من مجموعة أمور – عبارة عن قسمين:

القسم الأول: استخدم الإسلام فيه دواء معنوي روحي، وذلك بالنصح والإرشاد، ومحاولة رفع معنويات المصاب، وتقوية نفسه.

القسم الثاني: استخدم الإسلام فيه ترياق حسي مادي له القدرة على إزالة

---

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، الإمام/ ابن قيم الجوزية، جـ١صـ٢٦، تحقيق/ محمد عزير شمس، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢هـ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل،الإمام/ ابن قيم الجوزية، صـ٢٧٤، طبعة سنة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، دار المعرفة، بيروت–لبنان.

الحزن والأسى، وتثبيت دعائم السرور والبهجة.

أما الأول: فللعقيدة الإسلامية دور فعَّال في علاج حالات الحزن والاكتئاب من خلال نصوص الوحي الشريف، فلها بالغ الأثر على مشاعر الإنسان ونفسيته، وتعديل سلوكه:

أولًا : آيات وأحاديث الإيمان بالقدر .

فإذا علم المرء واطمأن إلى أن المقادير تجري بمشيئة الله، وتيقن أنه لا يكون في أرض الله إلا ما أراد الله، وتحقق لديه أن كل قضاء لله خير، عندئذٍ لا يحق له أن يحزن، ولما يحزن وكل مقادير الخلائق كتبت وسطرت منذ الأزل مصداقًا لقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ (١) .

ومصائب الأرض هي: الأزمات التي يمر بها الإنسان في الشدائد التي تقابله من نقص في الأموال والثمرات، ومصائب النفس هي: الأمراض والأوجاع التي تلم بالمرء، وكل ذلك مكتوب ومستقر، فهذه الحوادث الأرضية قبل دخولها في الوجود لا ريب أنها مكتوبة في اللوح المحفوظ، وصدق رسول الله -ﷺ- حين قال" لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٢، ٢٣.

لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ" (١) وعليه ينبغي ألا يشتد حزن الإنسان وفرحه، فمن عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب.

وتحقيق هذا الكلام على مذهب أهل السنة: أن وقوع كل ما وقع واجب، وعدم كل ما لم يقع وأجب – أيضًا – **لأسباب أربعة** :

أحدها: أن الله – تعالى– علم وقوعه، فلو لم يقع انقلب العلم جهلًا.

ثانيها: أن الله أراد وقوعه، فلو لم يقع انقلبت الإرادة تمنيًا.

ثالثها: أنه تعلقت قدرة الله – تعالى– بإيقاعه، فلو لم يقع لانقلبت تلك القدرة عجزًا.

رابعها: أن الله – تعالى– حكم بوقوعه بكلامه الذي هو صدق، فلو لم يقع لا نقلب ذلك الخبر الصدق كذبًا.

فالذي وقع لو لم يقع لتغيرت هذه الصفات الأربعة من كمالها إلى النقص، ومن قدمها إلى الحدوث، ولما كان ذلك ممتنعًا علمنا أنه لا دافع لذلك الوقوع، وحينئذ يزول الغم والحزن عند ظهور هذه الخواطر، وهانت عليه المحن والمصائب (٢) .

فاتساع أفق النظر، والتأمل مع الوجود الكبير، وتصور الأزل والأبد، ورؤية الأحداث في مواضعها المقدرة في علم الله، الثابتة في تصميم هذا الكون كل أولئك

---

(١) مسند أحمد، جـ٥ صـ٤٨٢.

(٢) مفاتيح الغيب، جـ١٥ صـ٢٤٠.

يجعل النفس أفسح وأكبر ثباتًا ورزانة في مواجهة الأحداث العابرة.

وإن الإنسان يجزع ويستطار وتستخفه الأحداث حين ينفصل بذاته عن هذا الوجود، ويتعامل مع الأحداث كأنها شيء عارض يصادم وجوده الصغير، فأما حين يستقر في تصوره وشعوره أنه هو والأحداث التي تمر به، وتمر بغيره، والأرض كلها ذرات في جسم كبير هو هذا الوجود، وأن هذه الذرات كائنة في موضعها في التصميم الكامل الدقيق، لازم بعضها لبعض، وأن ذلك كله مقدر مرسوم معلوم في علم الله المكنون، حين يستقر هذا في تصوره وشعوره، فإنه يحس بالراحة والطمأنينة لمواقع القدر كلها على السواء، فلا يأسى على فائت أسى يضعضعه ويزلزله، ولا يفرح بحاصل فرحًا يستخفه ويذهله، ولكن يمضي مع قدر الله في طواعية وفي رضى، رضى العارف المدرك أن ما هو كائن هو الذي ينبغي أن يكون [١].

وصدق رسول الله -ﷺ- حين قال لابن عباس [٢] رضي الله عنهما قَدْ مَضَى الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ،فَلَوْ جَهَدَ النَّاسُ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِمَا لَمْ يَقْضِهِ اللهُ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ،وَلَوْ جَهَدَ النَّاسَ أَنْ يَضُرُّوكَ بِمَا لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ"وفي رواية:"وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ،وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ،وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلَائِقَ لَوِ

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، جـ٦صـ٣٤٩٣، الطبعة السابعة عشر سنة١٤١٢هـ، دار الشروق،مصر.

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله -ﷺ- حبر هذه الأمة، ومفسر كتاب الله وترجمانه، كان يقال له الحبر والبحر توفى سنة ثمان وستين(البداية والنهاية، مج٤ جـ٨ صـ ٢٨٠)

اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَعْطُوكَ شَيْئًا لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُعْطِيَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا أَنْ يَصْرِفُوا عَنْكَ شَيْئًا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُصِيبَكَ بِهِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ...وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ جَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ" (١) وذلك لكي تستقر النفس وتطمئن لما يصيبها، فلا تطير جزعًا وهي تواجه الضراء، فكله بقدر مقسوم، ومرد الأمر كله في النهاية إلى الله ﷻ.

والإيمان بقدر الله، والتسليم له عند المصيبة، سبب في الطمأنينة، والراحة النفسية، إذ يقول الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (٢) والمعنى: أن المصيبات لا تقع إلا بأمر من الله، فمن وقع في مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، وفق إلى التسلِّيم والرضى، وهو الهدى القلبي، ومن لم يؤمن بهذا عند نزول المصائب،فإن الله يكله إلى نفسه،والنفس ليس لديها إلا الجزع والهلع المنهي عنه،والمعاتب عليه.

وروي عن ابن عباس، أنه قال في هذه الآية:" يَهْدِي قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ" (٣) .

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كِتَابُ: مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ذِكْرُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، جـ٣صـ٦٢٣، ٦٢٤.

(٢) سورة التغابن، الآية:١١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام/ ابن حجر العسقلاني،جـ٨صـ٦٥٢،تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة سنة ١٣٧٩هـ، دار المعرفة، بيروت– لبنان.

ثانيًا: مفهوم ودور الأحزان في الإسلام.

إن الأحزان في الإسلام تكون:

أولًا: علامة من علامات محبة الله للعبد؛ لكونها مسببة عن الابتلاءات والمصائب، وقد قال ﷺ:"إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ،فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ،وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ" (١) وهذا الحديث يدل على أن البلاء إنما يكون خيرًا،وأن صاحبه يكون محبوبًا عند الله -تعالى-إذا صبر على

بلاء الله تعالى ، ورضي بقضاء الله ﷻ ويشهد لذلك الحديث قول النبي ﷺ : " عَجِبْتُ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،إِنْ أَصَابَهُ مَا يُحِبُّ، حَمِدَ اللهَ وَكَانَ لَهُ خَيْرٌ،وَإِنْ أَصَابَهُ مَا يَكْرَهُ فَصَبَرَ، كَانَ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ أَمْرُهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ إِلَّا الْمُؤْمِنُ" (٢) .

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ" (٣) بفَتْح الصَّاد وكَسْرها، وفي هذا الحديث:أَنَّ المؤمن لا يخلو من عِلَّة أَو قلةأَو ذلّة، وذلك خير له حالاً ومآلاً، قال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (٤) .

---

(١) مسند أحمد، جـ٣٩صـ٣٥، ٤١، ٤٨.

(٢) مسند أحمد، جـ٣٩صـ٣٥١.

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ: المَرْضَى، بَابُ: مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ المَرَضِ، جـ٧صـ١١٥.

(٤) سورة البقرة، الآية:١٥٥.

والابتلاءات وما يترتب عليها مقياسًا لإيمان العبد بمقتضى قول النبي ﷺ: " أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ " (١).

ثانيًا: تُعُّد الأحزان من مكفرات الذنوب والخطايا في الإسلام، فقد قال ﷺ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ" (٢) فهذا الحديث يدل على:أن الأَمراض والأَعراض، مُطهرةٌ للمؤمن، تُكَفِّر السيِّئات، وتحط الذنوب، والمصائب تكون على وجهين :

تارة إذا أصيب الإنسان تذكر الأجر واحتسب هذه المصيبة على الله، فيكون فيها فائدتان: تكفير الذنوب؛ وزيادة الحسنات، وتارة يغفل عن هذا فيضيق صدره، ويصيبه ضجر أو ما أشبه ذلك، ويغفل عن نية احتساب الأجر والثواب على الله، فيكون في ذلك تكفير لسيئاته، إذًا هو رابح على كل حال في هذه المصائب التي تأتيه.

فإما أن يربح تكفير السيئات وحط الذنوب بدون أن يحصل له أجر؛ لأنه لم ينو شيئًا ولم يصبر ولم يحتسب الأجر، وإما أن يربح شيئين: تكفير السيئات، وحصول الثواب من الله -ﷻ- كما تقدم، وهذا من نعمة الله سبحانه وتعالي وجوده وكرمه، حيث يبتلي المؤمن ثم يثيبه على هذه البلوى أو يكفر عنه سيئاته (٣).

---

(١) المستدرك على الصحيحين،كِتَابُ: مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ،مِحْنَةُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، جـ٣صـ٣٨٦.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ: المَرْضَى، بَابُ: مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ المَرَضِ، جـ٧صـ١١٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن العثيمين، جـ١صـ٢٤٤، طبعة سنة ١٤٢٦هـ، دار الوطن، الرياض– المملكة العربية السعودية.

إن هذه العقيدة، وتلك المفهوم لخير علاج لحالات الحزن والأسى، ومن ثم التحول من السخط إلى الرضا، ومن الجزع إلى الصبر، ولنا في " الخنساء" (١) العبرة والعظة.

فهي المرأة المخضرمة التي عاشت في عصري الجاهلية والإسلام، فكان لمبادئ وتعاليم الإسلام بالغ الأثر على تحول حالتها النفسية والمزاجية، ومن مظاهر هذا التغير: أنها بكت على أخيها "صخر" حتى عميت لحبها له حبًا شديدًا، كما رثته ببالغ الحزن والأسى حتى ملأت الدنيا انتحابًا ودموعًا وعويلًا، وحفرت أشعارها حفرًا في قلب كل موتور حزين، وعبرت بأشعارها الرقيقة أصدق تعبير عن مرارة الثكل، وألم الموت، وصورت التجربة الإنسانية المؤلمة أدق تصوير، فكان شعرها خالدًا نحسه،ونتجاوب معه، وننفعل به ولقد عدت أعظم شعراء الرثاء، ويغلب على شعرها ظاهرة الحزن والبكاء والتفجع وذرف الدموع، ومن أبياتها التي تصور هذه الحالة :

---

(١) تُماضَر أو تَمَاضِرُ"بضم التاء وفتحها"بنت عمرو بن الشّريد السُلمية من بني سليم،من قيس عيلان،من مضر، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الاسلام وقدَمَت رسول الله-ﷺ-مع قومها فأسلمت معهم،فذكروا أن رسول الله-ﷺ-كان يستنشدها ويعجبه شعرها،فكانت تنشده ويقول:"هيه يا خُناس"أجمع أهل العلم والشعر أنه لم تكن امْرَأَة قبلها ولا بعدها أشعر منها، توفيت سنة أربع وعشرين من الهجرة(الإصابة في معرفة الصحابة، جـ٣صـ٤٧٦؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ٤صـ١٨٢٧، الأعلام، جـ٢صـ٨٦)

فمن المتقارب [١] تقول :

أَعَينَـــيَّ جـــودا وَلا تَجمُـــدا ... أَلا تَبكِيـــانِ لِصَـــخرِ النَـــدى
أَلا تَبكِيـــانِ الجَـــريءَ الجَميـــلَ ... أَلا تَبكِيـــانِ الفَتـــى السَـــيِّدا

ومن الوافر [٢] تقول :

ألا يـــا عَـــينِ فـــانهمري بِغُـــدْرِ ... وفِيضـــي فَيْضَـــةً مِـــن غَـــيرِ نَـــزْرِ
ولاَ تعـــدِي عـــزاءً بعـــدَ صـــخرٍ ... فقـــد غُلـــبَ العـــزاءُ وعيـــلَ صَـــبري

ومن البسيط تقول :

قَـــذىً بِعَينِـــكِ أَم بِـــالعَينِ عُـــوّارُ ... أَم ذَرَفَـــت إِذ خَلَـــت مِـــن أَهلِهـــا الـــدارُ
كَـــأَنَّ عَـــيني لِـــذِكراهُ إِذا خَطَـــرَت ... فَـــيضٌ يَسـيلُ عَلـى الخَـدَّينِ مِـدرارُ
تَبكـي لِصَـخرٍ يَـا لَعَـبرى وَقَـد وَلَهَـت ... وَدونَـهُ مِـن جَديـدِ التُـربِ أَسـتارُ [٣]

هذه هي حالتها في الجاهلية، أما في الإسلام فقد تغيرت تغيرًا جذريًا،فهي

---

(١) سمي بهذا الاسم؛ لقرب أوتاده من أسبابه، والعكس بالعكس، فبين كل وتدين سبب خفيف واحد، وقيل: بل سمي بذلك لتقارب أجزائه، أي لتماثلها وعدم طولها، فكلها خماسية، ويستعمل تامًا ومجزوءًا، ووزن هذا البحر: فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ ** فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ .

(٢) سُمِّيَ بهذا الاسم ؛ لوفور أوتاد تفعيلاته، وقيل: لوفور حركاته؛ لأنه ليس في تفعيلات البحور المختلفة حركات أكثر مما في تفعيلاته ، ويستعمل تامًا ومجزوءًا ، ووزن هذا البحر : مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ ** مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ .

(٣) ديوان الخنساء، صـ٣٣، ٤١، ٤٢،المكتبة الثقافية، بيروت – لبنان؛ ديوان الخنساء "شرح ثعلب"، صـ٥، تحقيق الدكتور/ أنور أبو سويلم، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م ، دار عمار، الأردن – عمان.

التي حثت أبنائها الأربعة على الجهاد في موقعة "القادسية" (١) زمن أمير المؤمنين"عمر بن الخطاب ﷺ"ووصتهم قائلةً لهم: "يابَنيَّ إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين...وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خيرٌ من الدار الفانية يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (٢) فإن أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين؛ فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة، فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها، فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم، فقاتل أبناؤها فقتلوا،فلم تجزع وتبك،ولكنها صبرت واحتسبت وقالت: "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته" (٣) ولم تحزن وتملئ الدنيا عويلًا وصراخًا كما فعلت

---

(١) كانت وقعة القادسية بالعراق في سنة أربع عشرة،وكان على الناس سعد بن أبي وقاص، وعلى المشركين رستم ومعه الجالينوس، وذو الحاجب وكان المسلمون ما بين السبعة إلى الثمانية آلافًا ورستم في ستين ألفًا، وقيل: كانوا أربعين ألفاً، وكان معهم سبعون فيلًا، وذكر المدائني أنهم اقتتلوا قتالًا شديدًا ثلاثة أيام في آخر شوال، وقيل في رمضان، فقتل رستم وانهزموا، وقيل إن رستم مات عطشًا، وتبعهم المسلمون فقتل جالينوس وذو الحاجب، وقتلوهم ما بين الخرارة إلى السيلحين إلى النجف، حتى ألجأوهم إلى المدائن، فحصروهم بها حتى أكلوا الكلاب(تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، الذهبي، جـ٢صـ٨٤، تحقيق الدكتور/ بشار عوّاد معروف، الطبعة الأولى سنة٢٠٠٣م، دار الغرب الإسلامي)

(٢) سورة آل عمران، الآية :٢٠٠.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٨صـ١١١، ١١٢.

على أخيها صخر، إنه الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب.

وعن دور الإيمان في إزالة الحزن، والتخلص من الهم والغم يقول الإمام عبد القادر الجيلاني (١) : " إذا أحكمت الإيمان، وصلت إلى دار المعرفة، ثم إلى وادي العلم، ثم إلى وادي الفناء عنك وعن الخلق، ثم إلى الوجود به لا بك ولا بهم، فحينئذٍ يزول حزنك" (٢) .

ولهذا الدور وتلك المفهوم كان للحزن منزلة عند الصوفية يحسن بنا والحالة هذه أن نلقي الضوء عليها .

*** مراتب الحزن ومكانتة عند الصوفية :**

وللحزن ثلاث مراتب كما بين ذلك السادة الصوفية وهي :

المرتبة الأولى : حزن العامة وهو حزن على التفريط في الخدمة وعلى التورط في الجفاء وعلى ضياع الأيام.

---

(١) عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي، من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان طبرستان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة من الهجرة، وانتقل إلى بغداد شابًا،فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد وتوفي بها سنة أحدى وستين وخمسمائة (الأعلام،جـ٤صـ٧٤) .

(٢) في الباطن والظاهر المسمى "جلاء الخاطر" الشيخ/ عبد القادر الجيلاني، صـ٥٩، تحقيق/ خالد الزرعي وعبد الناصر سِرِّي، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م، دار ابن القيم .

ومعنى هذا الكلام : أن السابق إلى قلوب المقصرين حزنهم على التقصير؛ والتقصير يكون إما لشغل بالدنيا وهو التورط في الجفاء، أو لكسل عن أعمال الأخرى وهو التفريط في الخدمة، أو لفكرة فيما مضى وهو سبب الندم على ما ضاع من الأيام في البطالة (١) .

والمرتبة الثانية : حزن أهل الإرادة وهو: حزن على تعلق القلب بالتفرق، وعلى اشتغال النفس عَن الشهود، وعلى التسلي عن الحزن .

وهذا الحزن أرفع مما قبله بالنظر إلى متعلقه وله أسباب ثلاث :

الأول : الحزن على تعلق القلب بالتفرق، أي بالأكوان والخلائق بالمحبة،قال الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ (٢) وعدم جمعيِّته بالحضور مع الحق محبَّة.

الثاني : الحزن على اشتغال النفس، أي بالحياة الدنيا وملاهيها، عن ذلك الحضور والذكر الذي هو سببه، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ (٣) فإن الذكر يورث الحضور .

الثالث : الحزن على التسلي عن الحزن، وذلك إذا فقده المريد في وقت النقص وضيعة الأيام بالبطالة والتفرقة، فإنه إذا لم يحزن حينئذٍ بقى مع القصور؛ فهو مقام

---

(١) شرح منازل السائرين، اللخمي، صـ٤٠.

(٢) سورة البقرة، الآية:١٦٥.

(٣) سورة الجمعة، الآية : ١١.

شريف في حقه، فإذا فقده حزن على فقده [١].

والمرتبة الثالثة من الحزن: التحزن للمعارضات دون الخواطر، ومعارضات القصود، والاعتراضات على الأحكام .

وهذه الرتبة أتم مما قبلها من الدرجات، فإن الذي قبلها حزن على التفرقة، وسعي في طلب مقام الجمع، وهاهنا حزن للمعارضات على مقام الجمع، والعارضات المشغلة عن المقصود وعلى وجود الاعتراضات على الأحكام، الجارية بين الأنام، بل حقه أن يتلقاها بالقبول والاحترام، ما لم تكن من الآثام [٢] وهذه المرتبة من الحزن لها ثلاثة أسباب :

الأول : التحزن للمعارضات دون الخواطر، ويعني ذلك معارضات معاني التجليات؛ فإن من حصل له التجلي من عالم الجمال يتعلق بالبسط، فإن المعارضة في حقه تكون من تجلي آخر من عالم الجلال، فيتعلق بالقبض فيحزن ضرورةً على عالم الجمال .

الثاني : الحزن على معارضات القصود، أو المعارضات المشغلة عن المقاصد، وهو ما ينقض عزائمهم من قبل الله، فربما قصدوا طريقًا يسلكونه في الله – تعالى – باختيارهم، فاختار الله – تعالى – لهم طريقًا آخر – يعلم أنه أولى بهم وأليق – فيعارضهم في ذلك، ويسلكهم فيما هو أولى بهم وأليق، فيحزن على أن لم يحصل له

---

(١) شرح منازل السائرين، القاساني، صـ١٠١، ١٠٢.

(٢) شرح منازل السائرين، اللخمي، صـ٤١.

قصده .

الثالث : الحزن من أجل الاعتراض على الأحكام، وهي أن يخطر لهم خواطر الاختيار على ما اختار الله لهم، فيتحزنون لذلك على أنهم لم يتركوا الاختيار مع اختيار الحق، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ (٢) .

وقد يقع منهم الاعتراض على الأحكام الواردة عليهم من الحق غلبة، فيتحزنون لما صدر عنهم من سوء الأدب، أو على أحكام العلم عند غلبة الحال، وهجوم المعرفة في تلويناته ؛ فإذا تمكنوا عرفوا صحة العلم الظاهر في طوره، وصحة الحال والمعرفة في طورهما، فيتحزنون لما فاتهم من التسليم للعلم، وتسرعهم في الاعتراض على الله (٣) .

كما أن له وجوه، يقول الشيخ حاتم الأصم (٤) : " الحزن على وجهين: حزن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية:٣٦.

(٢) سورة القصص، الآية:٦٨.

(٣) شرح منازل السائرين، القاساني، صـ١٠٥.

(٤) حاتم بن عُنْوانَ بن يوسف الأصم، كنيته أبو عبد الرحمن، وهو من قدماء مشايخ خُراسان، من أهل بَلْخ، زاهد، اشتهر بالورع والتقشف، له كلام مدون في الزهد والحكم توفي "بِوَاشَجَرْدَ" عند رباط يقال له:"رأس سَرُوند"على جبل فوق"واشَجَرْد"سنة سبع وثلاثين ومائتين من الهجرة(الطبقات الصوفية، أبي عبد الرحمن السُّلمي، صـ٣٠،تحقيق/ أحمد الشرباصي، الطبعة الثانية سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، طبعة الشعب)

لك، وحزن عليك فأما الذي عليك فكل شيء فاتك من الدنيا فتحزن عليه فهذا عليك، وكل شيء فاتك من الآخرة وتحزن عليه فهو لك" (١) .

ويقول الشيخ الحارث المحاسبي (٢) الحزن على وجوه: " الْحزن على وُجُوه حزن على فقد أَمر يحب وجوده وحزن مَخَافَة أَمر الْمُسْتَقْبل وحزن لما أحب من الظفر بِأَمْر فَيتَأَخَّر عَن مُرَاده وحزن يتَذَكَّر من نَفسه مخالفات الْحق فيحزن لَهُ" (٣) .

والحزن من أوصاف أهل السلوك، يقول الإمام ابن القيم: "وليست من المنازل المطلوبة، ولا المأمور بنزولها، وإن كان لا بد للسالك من نزولها" (٤) وذلك لأنه من ثمرة أعمالهم، وتجليات عبودياتهم في حال سيرهم .

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، جـ١٠صـ٤٨، طبعة سنة١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، دار السعادة،مصر.

(٢) الحارث بن أسد المحاسبي،أبو عبد الله:من أكابر الصوفية، كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظًا مُبكيًا، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم، سمي المحاسبي؛ لأنه كان يحاسب نفسه، ولد ونشأ بالبصرة،، مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين من الهجرة(طبقات الأولياء، ابن الملقن، صـ١٧٥، تحقيق/ نور الدين شريبه، الطبعة الثانية سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، مكتبة الخانجي، بالقاهرة)

(٣) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، صـ٦١، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، جـ١صـ٥٠٠.

يقول الإمام ابن عربي [١] في مقام الحزن من البسيط :

الحـــزنُ مَرْكَبُـــهُ صـــعبٌ وغايتُـــه ... ذَهَابُـــه فـــولىٌ الله مـــن حَزَنَـــا
قلـــبٌ الحـــزين هنـــا تَقْـــوَى قواعـــدُه ... هنـــاك والغَـــرَضُ المقصـــودُ منـــك هُنَـــا
دارُ التكـــاليفِ دارُمـــا بهـــا فَـــرَحُ ... فـــالله لـــيس يحـــبُ الفـــارحَ السِّـــنَا

ويقول: الحزن مقام صعب المرتقى قليل من الخلق عليه هو للكملة من الناس [٢] لذلك يقول أبو عَلِيّ الدقاق [٣] : صاحب الحزن يقطع من طريق اللهَّ – تعالى – في شهر مالا يقطعه من فقد حزنه سنين ولعل ذلك سببه؛ أن من حزن على التقصير جدَّ في التحصيل، ومن خشى الفوات اجتهد قبل الممات [٤] .

---

(١) محمد بن علي بن محمد ابن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الاندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر، فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسية بالأندلس سنة ستين وخمس مائة، وانتقل إلى إشبيلية ، وقام برحلة، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، واستقر في دمشق، فتوفي فيها سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وله نحو أربعمائة كتاب ورسالة(الأعلام، جـ٦ صـ٢٨١)

(٢) الفتوحات المكية، الإمام/ محي الدين ابن عربي، جـ٣صـ٢٨٠، تحقيق/ أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٣) الحسن بن علي بن محمد أبو علي الدقاق، الزاهد النيسابوري شيخ الصوفية، وشيخ القشيري، لسان وقته وإمام عصره بعلم العربية، وعلم الأصول، توفي في ذي الحجة سنة ست وأربعمائة (تاريخ الإسلام، جـ٩صـ١٠٤)

(٤) حاشية العلامة مصطفى العروسي المسماة : نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، شيخ الإسلام / زكريا بن محمد الأنصاري، مج ١جـ٢ صـ٣٤٤، تحقيق الشيخ/ عبدالواث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

وتعتقد الصوفية: أن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب، وقد يكون السبب لحصول ضده .

وقال أبو سعيد القُرَشِيّ (١) : " بكاء الحزن يعمى وبكاء الشوق يعشى البصر ولا يعمى قَالَ اللهَّ تَعَالَى : ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾(٢) والعلاقة بين العمى والحزن، أنه كما تقول الصوفية: يمنع من الطعام والشراب، ويكثر معه الهموم والغموم، فتصعد من المعدة أبخرة رديئة مظلمة تكون سببًا لزوال الإدراك من العين وقت البكاء (٣) .

سمعت رابعة العدوية (٤) سفيان الثوري (٥) يقول: واحزناه فقالت :" قل

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصير بن عبد الوهاب بن عطاء بن واصل، أبو سعيد القُرَشي الرازي الصوفي، حج وسافر إلى مصر والشام وجاور، وأقام بنيسابور مدة، وخرج في آخر عمره إلى مَرْو، ثم إلى بُخارى فتوفي بها سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة من الهجرة، وله أربع وتسعون سنة(تاريخ الإسلام، جـ٨صـ٥٣٥)

(٢) سورة يوسف، الآية:٨٤.

(٣) حاشية العلامة مصطفى العروسي المسماة: نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، مج١جـ٢صـ٣٤٥.

(٤) رابعة ابنة إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك، الصالحة المشهورة، كنيتها أم عمرو، كانت من أعيان عصرها،وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة توفيت سنة ثمانين،عن نحو ثمانين سنة(طبقات الصوفية، صـ٣٧٨؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ٢صـ٢٨٥؛ سير أعلام النبلاء، جـ٨صـ٢٤١؛ تاريخ الإسلام، جـ٤صـ٦١٧)

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي ابن عبد الله بن منقذ =

واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس" [١] تعني لم تتفرغ للاستغاثة بقوله: واحزناه .

وقال سفيان بن عيينة [٢]: " لو أن محزونًا بكى فِي أمة لرحم اللهَّ-تعالى- تلك الأمة ببكائه "وذلك لأن المحزون شديد الاضطرار إلى ما حزن عليه،وعند الاضطرار وعده الله بالإجابة فقال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [٣] .

وكان داود الطائي [٤] يغلب عليه الحزن ويقول بالليل: إلهي همك عطل علي

بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور، إمام الحفاظ، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ولد سنة سبع وتسعين من الهجرة اتفاقًا، ونشأ في الكوفة، وخرج منها إلى البصرة سنة خمس وخمسين ومائة، أمير المؤمنين في الحديث، توفي-ﷺ-بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة من الهجرة (سيرة أعلام النبلاء جـ٧صـ٢٢٩)

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ٢صـ٢٨٥.

(٢) سفيان بن عيينه بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد، محدث الحرم المكي من الموالي، ولد بالكوفة سنة سبع ومائة من الهجرة، كان حافظاً ثقة واسع العلم كبير القدر، وكان أعوراً وحج سبعين حجة، توفي بمكة سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة(الأعلام، جـ٣ صـ ١٠٥)

(٣) سورة النمل، الآية:٦٢.

(٤) داود الطائي أبو سليمان بن نصير الإمام، الفقيه، القدوة، الزاهد، الطائي، الكوفي، أحد الأولياء، ولد بعد المائة بسنوات، وكان من كبار أئمة الفقه والرأي، برع في العلم بأبي حنيفة، ثم أقبل على شأنه، ولزم الصمت، وآثر الخمول، وفر بدينه، قال ابن عيينة:كان داود ممن علم وفقه ومناقبه =

الهموم وحال بيني وبين الرقاد وكان يقول: كيف يتسلى من الحزن من تتجدد عليه المصائب في كل وقت .

وسئل بعضهم بم يستدل على حزن الرجل فقال: بكثرة أنينه ؛ لأن من تراكم عليه ألم الحزن، عسر عليه التعبير بلسانه، وإنما يتنفس ويتروح بأنينه (١) .

وعن بَعْض مشايخ الصوفية، أنه كان إذا سافر واحد من أصحابه يقول له إن رأيت محزونًا فأقرئه منى السلام .

يقول الشيخ أبو عَلِيّ الدقاق: كان بعض الصوفية يقول للشمس عند غروبها: هل طلعت اليوم على محزون.

وكان الحسن البصري (٢) لا يراه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة، وقال وكيع لما مات الفضل ذهب الحزن اليوم من الأرض

وقال : الفضيل بن عياض (٣) يقول: كان السلف يقولون إِن على كل شيء

كثيرة مات سنة اثنتين وستين ومائة، وقيل: سنة خمس وستين (سير أعلام النبلاء، جـ٧ صـ٤٢٢؛ تاريخ الإسلام، جـ٤ صـ٣٥٧) .

(١) نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، مج١ جـ٢ صـ٣٤٧.

(٢) الحسن بن أبى الحسن يسار، أبو سيعد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، نشأ الحسن بوادي القرى، حضر الجمعة مع عثمان، وسمعه يخطب، وشهد عنه محمد بن سعد:" كان الحسن جامعاً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقة، حجة ، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً، وسيماً، عاش نحو ثمان وثمانين سنة ومات فى أول رجب بالبصرة(سيرة أعلام النبلاء، جـ ٤ صـ٥٦٣)

(٣) الفضيل بن عِيَاض بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي ولد بسمرقند، ونشأ بأَبِيْوَرْدَ، وكان =

زكاة وزكاة العقل طول الحزن (١).

ولقد عرف عن السيدة "رابعة العدوية " دوام حزنها وبكائها، قال الإمام الشعراني (٢) : " كانت - رضي الله عناها - كثيرة البكاء والحزن، وكانت إذا سمعت ذكر النار غشي عليها زمانًا، وكان موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها" (٣).

فالسيدة رابعة كما يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق وماسينيون (٤) : "هي

إمامًا، حجة زاهدًا، عابدًا، ربانيًا، قال ابن عيينة والعجلي وغيرهما: فضيل ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال أبو بكر الصوفي :سمعت وكيعًا يقول يوم مات الفضيل: ذهب الحُزْن اليوم من الأرض، توفي الفضيل رحمه الله يوم عاشوراء سنة سبع وثمانين ومائة (طبقات الصوفية، صـ٢٢؛ تاريخ الإسلام، جـ٤صـ٩٤٢؛ سير أعلام النبلاء، جـ٧صـ٣٩٣)

(١) الرسالة القشيرية، صـ٢٦٧-٢٧٠.

(٢) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي نسبة إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني، أبو محمد، من علماء المتصوفين، ولد في قلقشندة مصر، ونشأ بساقية أبي شعرة - من قرى المنوفية - وإليها نسبته الشعراني، ويقال: الشعراوي وتوفي في القاهرة سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة (الأعلام، جـ٤صـ١٨٠)

(٣) الطبقات الكبرى، الشعراني، جـ١صـ٥٦،طبعة سنة ١٣١٥هـ، المطبعة العامرة، مصر.

(٤) لويس ماسينيون، ولد في نوجان إحدى ضواحي باريس لأب نحات للتماثيل، حصل على ليسانس الآداب، رحل إلى الجزائر والمغرب، ثم ألحق بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، واستمع إلى دروس الأزهر، وانتدبته الجامعة المصرية أستاذًا لتاريخ الفلسفة، وقف ذكاءه وعلمه ونشاطه في التنقيب والتعليم والتصنيف على الإسلام: آثارًا ونظمًا اجتماعيه، وفرقًا، ولا سيما تصوفًا، وكان قد حصل على الدكتوراه برسالة عن آلام الحلاج من السوربون، وتقاعد وهو =

السابقة إلى وضع قواعد الحب والحزن في هيكل التصوف الإسلامي، وهي التي تركت في الآثار الباقية نفثات صادقة في التعبير عن محبتها وعن حزنها وإن الذي فاض به الأدب الصوفي بعد ذلك من شعر ونثر في هذين البابين، لهو نفحة من نفحات السيدة رابعة العدوية إمام العاشقين والمحزونين في الإسلام" (١) .

ثالثًا: الأدعية والتسابيح .

الأدعية من أقوى الأسباب لدفع الحزن والهم، وجلب السعادة والراحة، ذلك أن الداعي يأوي إلى ركن شديد يستعين به،وصدق رسول الله -ﷺ- حين قال:" لَا تَعْجِزُوا فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَهْلِكُ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ" (٢) وقال ﷺ:"لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ" (٣) وفي مسند الإمام أحمد:"" لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ

مديرًا للدراسات في المدرسة العملية العليا في باريس، توفي سنة اثنين وستين وتسعمائة وألف من الميلاد(المستشرقون، نجيب العقيقي،جـ١صـ٢٨٧، الطبعة الثانية سنة١٩٦٤م، دار المعارف، مصر)

(١) التصوف، ماسينيون ومصطفى عبد الرازق، صـ١٣٠، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان.

(٢) المستدرك على الصحيحين ، كِتَابُ : الدُّعَاءِ ، وَالتَّكْبِيرِ ، وَالتَّهْلِيلِ ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ ، جـ ١ ص ٦٧١ .

(٣) سنن الترمذي، أَبْوَابُ:الْقَدَرِ عَنْ رَسُولِ اللهﷺ،بَابُ:مَا جَاءَ لَا يَرُدُّ القَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، جـ٤ صـ٤٤٨، تحقيق/ إبراهيم عطوة، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م، طبعة الحلبي، مصر.

يُصِيبُهُ" (١) كما أن الدعاء وسيلة لتنزل الرحمات، فمن أدركته رحمة الله فقد سعد سعادة لا يشق بعدها أبدًا،يقولﷺ:"الدُّعَاء مِفْتَاح الرَّحْمَة،وَالْوُضُوء مِفْتَاح الصَّلَاة،وَالصَّلَاة مِفْتَاح الْجَنَّة" (٢) .

وحديث النبي ﷺ:" إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ" (٣) يشير إلى أن الدعاء نوعان:

النوع الأول:علاجي وهو ما أشار إليه النبي-ﷺ- بقوله:"إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ"وهو الموجود المستقر، ونفعه يتأتى من وجهتين:

الأولى : إما رفعه إن كان مُعَلَّقًا، والثانية: بالصبر إن كان مُحْكَمًا، فيسهل عليه تحمل ما نزل به من بلاء فَيُصَبِّره عليه، أو يرضه به حتى لا يكون في نزوله متمنيًا خلاف ما كان،بل يتلذذ بالبلاء كما يتلذذ أهل الدنيا بالنعماء.

ومن الأدعية العلاجية لهذا النوع، قول النبي ﷺ:"مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ

---

(١) مسند أحمد، جـ٣٧ صـ٩٥.

(٢) جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير، الإمام/ السيوطي،جـ٣صـ٧٠٣، طبعة سنة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، الطبعة الأزهرية، دار السعادة، مصر.

(٣) سنن الترمذي، كِتَاب: الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَاب: فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، جـ٥ صـ٥٥٢.

الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا" قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ:" بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا" (١).

ومن هذا النوع قول النبيﷺ:"إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إِلا فَرَّجَ اللهُ كَرْبَهُ، كَلِمَةُ أَخِي يُونُسَ عليه السلام ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٢) قَالَ الله ﷻ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ (٣).

وروى الصحابي الجليل"عبدالله ابْنِ عَبَّاسٍ":" أَنَّ رَسُولَ اللهَّ-ﷺ-كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ" (٤) وهذه وصايا دعوية نبوية نافعة في إزالة الحزن، والشفاء من الهم والغم بأمر الله ﷻ.

---

(١) مسند أحمد، جـ٦صـ٢٤٦؛ المستدرك على الصحيحين، كِتَابُ: الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ، جـ١صـ٦٩٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية:٨٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.

(٤) صحيح البخاري، كِتَابُ:الدَّعَوَاتِ، بَابُ:الدُّعَاءِ عِنْدَ الكَرْبِ، جـ٨صـ٧٥ـ، وكِتَابُ: التَّوْحِيدِ، بَابُ: ﴿عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ سورة هود،الآية:٧ ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ سورة التوبة، الآية:١٢٩، جـ٩صـ١٢٦؛ صحيح مسلم، كتاب: الآداب، بَابُ: دُعَاءِ الْكَرْبِ، جـ٨صـ٨٥.

وهذه الأدعية محض توحيد؛ ومن نفحاتها إزالة الأمراض النفسية على وجه العموم؛ لكون توحيد الله -ﷻ- يقرب العبد من خالقه، ويرفع المانع، ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه، فإذا وصل القلب إليه زال عنه همه وغمه وحزنه، وإذا انقطع عنه حضرته الهموم والغموم والأحزان، وأتته من كل طريق، ودخلت عليه من كل باب.

النوع الثاني: وقائي، وهو ما أشار إليه النبي-ﷺ- بقوله:"وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ " وذلك بطريقتين:

الأولى : صرف البلاء ودفعه عن المرء .

الثانية: تأييد الإنسان وتقويته بإمداده بما يخفف معه أعباء ذلك إذا نزل به.

ومن الأدعيـة الوقائيـة من الحـزن، ما رواه الصحـابي الجليـل " أنس بن مالك" (١) أنه قال:" كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ" (٢) .

---

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصاري النجارى خادم النبي ﷺ مدة مقامه بالمدينة عشر سنين ، أمه أم سليم أعطته رسول -ﷺ - وسألته أن يدعو له فقال :" اللهم أكثر ماله وولده ،وأطل عمره، وادخله الجنة " فاستجاب الله دعاءه . كانت وفاته بالبصرة وهو آخر من كان قد بقى فيها من الصحابة وذلك فى سنة تسعين(البداية والنهاية مج٣،جـ٥صـ٣١٤).

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ: الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ: مَنْ غَزَا بِصَبِيٍّ لِلْخِدْمَةِ، جـ٤صـ٣٥، كِتَابُ: =

هذاالدعاءمن جوامع الكلم؛ لأن أنواع الرذائل ثلاثة: نفسانية وبدنية وخارجية، فالأولى بحسب القوى التي للإنسان وهي ثلاثة: العقلية والغضبية والشهوانية، فالهم والحزن يتعلق بالعقلية، والجبن بالغضبية والبخل بالشهوانية، والعجز والكسل بالبدنية، وَالضَّلَعُ وَالْغَلَبَةُ بالخارجية، والدعاء مشتمل على جميع ذلك (١).

ومن الآيات التي تصف الطبيعة البشرية وما يعتريها من آلام وأحزان وفيها الداء والدواء،قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (٢).

لما ذكر أن قومه يُسَفِّهُونَ عليه ولا سيما أولئك المقتسمون وأولئك المستهزئون قال له:ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون؛لأن الجبلة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك، ثم أمر-ﷻ- رسوله بأربع طاعات: التسبيح، والتحميد، والسجود، والعبادة، ففي أدائهن العلاج النافع.

والسؤال الذي يطرح نفسه، كيف صار الإقبال على هذه الطاعات سببًا

الأَطْعِمَةِ، بَابُ: الحَيْسِ، جـ٧صـ٧٦، كِتَابُ: الدَّعَوَاتِ، بَابُ: التَّعَوُّذِ مِنْ غَلَبَةِ الرِّجَالِ، جـ٨ ص ٧٨، ٧٩.

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،أبو العلا محمد المباركفوري، جـ٩ صـ٣٢١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

(٢) سورة الحجر، الآية:٩٧، ٩٨، ٩٩.

لزوال ضيق الصدر والحزن؟ ذلك لأن الإنسان إذا اشتغل بهذه الأنواع من العبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية، ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة، وإذا صارت حقيرة خف على القلب فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها، وعند ذلك يزول الحزن والغم.

وقالت المعتزلة: من اعتقد تنزيه الله –تعالى– عن القبائح سهل عليه تحمل المشاق، فإنه يعلم أنه عدل منزه عن إنزال المشاق به من غير غرض ولا فائدة فحينئذ يطيب قلبه.

وقال أهل السنة: إذا نزل بالعبد بعض المكاره فزع إلى الطاعات كأنه يقول: تجب علي عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكروهات (١) .

القسم الثاني: العلاج بالترياق النبوي المعروف باسم "التلبينة".

فمن خصائص المصطفى –ﷺ– أنه جمع بين النبوة والحكمة، فهو نبي طبيب،والأحاديث المأثورة في علمه–ﷺ– بالطب لا تحصى،وقد جمع منها دواوين، واختلف في مبدأ هذا العلم على أقوال كثيرة، والمختار أن بعضه علم بالوحي، البعض الآخر بالتجارب.

ولقد علم النبي ﷺ السيدة عائشة كيفية التداوي فعن هشام ابن عروة (٢)

---

(١) مفاتيح الغيب، جـ١٩ صـ١٦٥، ١٦٦.

(٢) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الاسدي، أبو المنذر، وقيل: أبو عبد الله، المدني له =

عن أبيه أنه قال:"مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْلَمَ بِطِبٍّ، وَلا نَفَقَةٍ ، وَلا بِشِعْرٍ مِنْ عَائِشَةَ" (١) .

ولقد روت كتب السنة الصحاح، كثير من النصائح والإرشادات الطبية النبوية التي يصف فيها النبي -ﷺ- الداء والدواء، ويشرح كيفية التداوي بالأغذية، حتى إن العلم الحديث بتقنياته المتقدمة، أشاد بنتائج ما جاء في هذه الأحاديث النبوية، وأصبح التداوي بالأغذية اليوم مطلب عالمي .

جاء في "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"أنه-ﷺ- كان يراعى صفات الأطعمة وطبائعها واستعمالها على قاعدة الطب،فإذا كان في أحد الطعامين ما يحتاج إلى كسر وتعديل،كسره وعدله بضده إن أمكن، كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ، وهذا أصل كبير في المركبات من الأدوية، وإن لم يجد ذلك، تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير إسراف (٢) .

ومثال ذلك: ما رواه الصحابي الجليل أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه" أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

نحو أربع مائة حديث، وقال محمد بن سعد والعجلي: كان ثقة، زاد ابن سعد: ثبتًا، كثير الحديث،حجة، وقال أبو حاتم: ثقة، إمام في الحديث،توفي سنة خمس أو ست وأربعين ومائة ببغداد(تهذيب الكمال،المزي،جـ٣٠صـ٢٤٠،تحقيق الدكتور/ بشار عواد معروف،الطبعة الرابعة ١٤٠٦ - ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة)

(١) المعجم الكبير،جـ٢٣صـ١٨٢.

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن أبى بكر القسطلاني،جـ٢صـ١٦٤، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر.

كَانَ يَأْخُذُ الرُّطَبَ بِيَمِينِهِ وَالْبِطِّيخَ بِيَسَارِهِ فَيَأْكُلُ الرُّطَبَ بِالْبِطِّيخِ وَكَانَ أَحَبَّ الْفَاكِهَةِ إِلَيْهِ" (١) وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (٢) رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- يَأْكُلُ الرُّطَبَ بِالْقِثَّاءِ" (٣).

وقال الإمام القرطبي (٤) في تعليقه على هذا الحديث وأمثاله:"وفيه دليل على جواز مراعاة جو صفات الأطعمة، وطبائعها،واستعمالها على الوجه الأليق بها،كما يقوله الأطباء؛لأن في الطب حرارة وفي الْقِثَّاء برودة،فإذا أكلا معًا اعتدلا،وهذا أَصل كبير في المركبات من الأدوية" (٥).

---

(١) المستدرك على الصحيحين، كِتَابُ، الْأَطْعِمَةِ، جـ٤صـ١٣٤.

(٢) عبد الله بن جعفر – ذي الجناحين- بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي الهاشمي، له صحبة، وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية، ولد بأرض الحبشة، وكان أبواه رضي الله عنهما هاجرا إليها، فولد هناك، وهو أول مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة، وقدم مع أبيه المدينة، وهو أخو محمد بن أبي بكر الصديق، ويحيى بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لأمهما، وتوفي سنة ثمانين، عام الجحاف بالمدينة ودفن بالبقيع(أسدالغابة، جـ٣صـ٩٤)

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ:الأَطْعِمَةِ، بَابُ:الرُّطَبِ بِالقِثَّاءِ، جـ٧صـ٧٩، ٨٠؛ صحيح مسلم، ،كِتَابُ:الأَطْعِمَةِ، بَابُ:الرُّطَبِ بِالقِثَّاءِ، جـ٦صـ١٢٢.

(٤) أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي الفقيه المحدث المدرس بالإسكندرية ولد بقرطبة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وسمع الكثير هناك، واختصر الصحيحين، وشرح صحيح مسلم المسمى بالمفهم، وفيه أشياء حسنة ، توفى سنة ست وخمسين وستمائة (البداية والنهاية، مجـ٧ جـ١٣ صـ٢٤١)

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري، جـ٢صـ٦٠٥، =

وعنون له أبو نعيم [١] في كتابه الطب النبوي بقوله :"باب: يذكر فيه الأشياء التي تؤكل بالرطب ليقل ضرره ويذهب بغائلته"ثم سَاقَ هَذَا الْحَدِيث [٢].

وفي الأحكام النبوية: أن النبي -ﷺ- كان يديم الطب ، في حال: صحته ومرضه، أما في صحته: فاستعمال التدبير الحافظ لها من الرياضة وقلة المتناول، وأكل الرطب بالقثاء، والرطب بالبطيخ، ويقول: يدفع حر هذا برد هذا، وإكحال عينيه بالإثمد، كل ليلة عند النوم، وتأخير صلاة الظهر في زمن الحر القوي، ويقول: أبردوا بها، وأما تداويه في حال مرضه، فثابت بما روي من ذلك في الأخبار الصحيحة، منها:عن عروة عن عائشة، قالت:إن رسول اللهﷺ " لَمَّا طُعِنَ فِي السِّنِّ سَقِمَ فَوَرَدَتِ الْوُفُودُ فَنُعِتَ لَهُ فَمِنْ ثَمَّ" [٣] .

ومما ورد عن النبي-ﷺ- في علاج الحزن، ما جاء في الصحيحين، من

تحقيق الدكتور/ عبد الهادي النازي، الطبعة الأولى سنة١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الرباط – المغرب.

(١) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران، أبو نعيم الأصبهاني الصوفي الأحول، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة بأصبهان، كان من الأعلام المحدثين، أصحاب المصنفات، توفي سنة ستة ثلاثين وأربع مئة وله أربع وتسعين سنة (تاريخ الإسلام،جـ٢٩صـ٢٧٤؛وفيات الاعيان جـ١صـ٩١؛ سيرة أعلام النبلاء، جـ١٧صـ٤٥٣)

(٢) الطب النبوي، الإمام/ أبو نعيم الأصبهاني، جـ٢صـ٧٢٨، تحقيق/ مصطفى خضر دونمز التركي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٦م، دار ابن حزم.

(٣) المعجم الكبير، جـ٢٣صـ١٨٢.

حديث عروة [١] عن عائشة زوج النبي -ﷺ-أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ المَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا، فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا،أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتِ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : " التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ المَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ" [٢] .

وروى الإمام البخاري [٣] رحمه الله،عن السيدة عائشة رضي الله عنها:أَنَّهَا كَانَتْ تَأْمُرُ بِالتَّلْبِينَةِ وَتَقُولُ:"هُوَ البَغِيضُ [٤] النَّافِعُ" [٥] .

وروى الإمام الحاكم [٦] رحمه الله، عن السيدة عائشة – رضي الله عنها– أنها

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو عبد الله تابعي جليل، كان ثقة كثير الحديث عالماً مأموناً ثبتاً، وهو أول من صنف المغازي ، وكان من فقهاء المدينة المعدودين ، وكان أروى الناس للشعر، ولد في حياة عمر توفى سنة أربع وتسعين. (البداية والنهاية ، مج٥، جـ٩ صـ١٠٨)

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ:الأَطْعِمَةِ، بَابُ:التَّلْبِينَةِ، جـ٧صـ٧٥؛ صحيح مسلم، كتاب: الطِّبِّ، باب: التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ ، جـ٧، ص٢٦.

(٣) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة في بخاري، نشأ يتيماً وقام برحلة طويلة في طلب الحديث، فزار خُرسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ،وجمع نحو ستمائة ألف حديث، اختار منها في صحيحه ما وثق بروايته، توفى ليلة السبت بعد صلاة العشاء، وكان ليلة عيد الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، سنة ست وخمسين ومائتين بخرتنك (وفيات الأعيان، جـ٤صـ١٨٩)

(٤) وسمي الْبَغِيضَ النافع لأن المريض يَعَافُهُ وهو نافع له.

(٥) صحيح البخاري ، كِتَابُ:الطِّبِّ، بَابُ : التَّلْبِينَةِ لِلْمَرِيضِ ، جـ٧صـ١٢٤.

(٦) الحاكم بن البيع النيسابوري، أبوعبد الله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمراويه بن نعيم بن الحكم =

قالت: قال رسول الله ﷺ :"عَلَيْكُمْ بِالْبَغِيضِ النَّافِعِ: التَّلْبِينَةُ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَغْسِلُ بَطْنَ أَحَدِكُمْ كَمَا يَغْسِلُ الْوَسَخَ عَنْ وَجْهِهِ بِالْمَاءِ" قَالَتْ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺإِذَا اشْتَكَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ، لَمْ تَزَلِ الْبُرْمَةُ عَلَى النَّارِ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى أَحَدِ طَرَفَيْهِ إِمَّا مَوْتٌ أَوْ حَيَاةٌ" (١).

والتَّلْبِينَة: بفتح المثناة وسكون اللام وكسر الموحدة، بعدها تحتانية ثم نون وهاء، وقد يقال بلاها هي: الحساء يعمل من دقيق أو نخالة، ويجعل فيه عسل أو لبن، وقيل: دقيق بحت (٢).

وقال الموفق البغدادي (٣): التَّلْبِينَة الْحَسَاء ويكون في قوام اللَبن، وهو الدقيق

الضبي الطهاني، المعروف بالحاكم النيسابوري، ولد في شهر ربيع الأولى سنة إحدى وعشرين وثلاثة مائة بنيسابور، إمام أهل الحديث في عصره، والمؤلف فيه من الكتب التي لم يسبق إلى مثلها، توفى سنة خمسة وأربعمائة(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ٤ صـ٢٨١)

(١) المستدرك على الصحيحين، كِتَابُ:الطِّبِّ، جـ٤ص٤٥١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، جـ١٠صـ١٤٦.

(٣) عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن سعد،العلامة موفق الدين البغدادي الشافعي النحوي اللغوي المتكلم الطبيب الفيلسوف المعروف بابن اللباد، ولد ببغداد سنة خمس وخمسين وخمسمائة،وحدث بمصر والقدس ودمشق وحران وبغداد، وكان أحد الأذكياء المضلعين من الآداب والطب وعلم الأوائل، توفي ببغداد سنة تسع وعشرين وستمائة(فوات الوفيات، محمد بن شاكر، جـ٢صـ٣٨٨، تحقيق/ إحسان عباس، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م،دار صادر، بيروت – لبنان)

النضيج لا الغليظ النِّيء (١) .

وسميت تلبينة: لشبهها باللبن لبياضها ورقتها، وقال الإمام/ ابن القيم:" وهذا الغذاء هو النافع للعليل، وهو الرّقيق النضيج لا الغليظ النِّيءُ، وإذا شئت أن تعرف فضل التَّلْبِينَةِ فاعرف فضل ماء الشعير، بل هي ماء الشعير لهم، فإنها حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته، والفرق بينها وبين ماء الشعير أنه يطبخ صحاحًا، وَالتَّلْبِينَةُ تطبخ منه مطحونًا، وهي أنفع منه لخروج خاصية الشعير بالطحن" (٢) .

وقول النبي ﷺ: "مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ المَرِيضِ"بفتح الميم والجيم ويقال: بضم الميم وكسر الجيم، أي تريح فؤاده، وتزيل عنه الهم وتنشطه، والجمام المستريح (٣).

وأما قوله -ﷺ- "تَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ": وذلك لثلاثة أسباب وهم:

الأول : لأن الغم والحزن يبردان المزاج، ويضعفان الحرارة الغريزية؛ لميل الروح الحامل إلى جهة القلب الذي هو منشأها، وهذا الحساء يقوى الحرارة الغريزية بزيادة مادتها، فتزيل أكثر ما عرض له من الغم والحزن.

---

(١) الطب من الكتاب والسنة، موفق الدين البغدادي، صـ١٩٨، تحقيق الدكتور/ عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الثالثة سنة١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار المعرفة، بيروت لبنان.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، الإمام/ابن قيم الجوزية، جـ٤صـ١١٠، الطبعة السابعة والعشرون سنة١٤١٥هـ-١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، جـ١٤صـ٢٠٢، الطبعة الثانية سنة١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.

الثاني: إنها تذهب ببعض الحزن، بخاصية فيها من جنس خواص الأغذية المفرحة ، فإن من الأغذية ما يفرح بالخاصية.

الثالث: إن قوى الحزين، تضعف باستيلاء اليُبْس على أعضائه، وعلى معدته خاصة؛ لتقليل الغذاء، وهذا الحساء يرطبها، ويقويها، ويغذيها، ويفعل مثل ذلك بفؤاد المريض، لكن المريض كثيرًا ما يجتمع في معدته خلط مراري أو بلغمي أو صديدي، وهذا الحساء يجلو ذلك عن المعدة، ويسروه ويحدره ويميعه ويعدل كيفيته ويكسر سورته فيريحها (١).

وهذا التفسير القيم، هو ما توصل إليه العلم الحديث، وأظهرته التقارير العلمية والمعملية، التي أثبتت وجود عناصر في الشعير تلعب دورًا هامًا في القضاء على الحزن والاكتئاب، وهذه المواد هي:

١ - المعادن: فتشير الدراسات العلمية إلى أن المعادن مثل البوتاسيوم والماغنسيوم لها تأثير على الموصلات العصبية التي تساعد على التخفيف من حالات الاكتئاب، وفي حالة نقص البوتاسيوم يزداد شعور الإنسان بالاكتئاب والحزن، ويجعله سريع الغضب والانفعال والعصبية، وحيث إن حبة الشعير تحتوي على عنصري البوتاسيوم والماغنسيوم فالتلبينة تصلح لعلاج الاكتئاب، ويلاحظ هنا أن الدراسات العلمية تستخدم كلمة "التخفيف من حالات الاكتئاب" ونجد ما يقابلها في حديث رسول الله:"تذهب ببعض الحزن" وهذه دلالة واضحة على دقة

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، جـ٤ صـ١١٠.

التعبير النبوي الذي أوتي جوامع الكلم.

٢ – فيتامين " B ": فقد يكون أحد مسببات أعراض الاكتئاب هو التأخر في العملية الفسيولوجية لتوصيل نبضات الأعصاب الكهربية، وهذا بسبب نقص فيتامين "B"؛ لذلك ينصح مريض الاكتئاب بزيادة الكمية المأخوذة من بعض المنتجات التي تحتوي على هذا الفيتامين كالشعير.

٣ – مضادات الأكسدة: حيث يساعد إعطاء جرعات مكثفة من حساء التلبينة الغنية بمضادات الأكسدة (فيتامين E وA) في شفاء حالات الاكتئاب لدى المسنين في فترة زمنية قصيرة تتراوح من شهر إلى شهرين.

٤ – الأحماض الأمينية: يحتوي الشعير على الحمض الأميني تريبتوفان Tryptophan الذي يسهم في التخليق الحيوي لإحدى الناقلات العصبية وهي السيروتونين Serotonin التي تؤثر بشكل بارز في الحالة النفسية والمزاجية الإنسان (١) .

نستطيع أن نقول: إن تناول الشعير يعني تناول كميات كبيرة من الأحماض الأمينية الأساسية التي تصنع منها النواقل العصبية، فيزداد اصطناع النواقل العصبية بشكل طبيعي كبير وتعود وترتفع بعد أن كانت منخفضة بشدة فينتقل المصاب بالحزن من الطاقات السلبية من حزن وهم وغم واكتئاب وتعب وتنقله إلى حالة من الفرح والسرور والاطمئنان والراحة، فالتلبينة تريح القلب الحزين

(١) http://www.ahlalhdeeth.com

وتسكن آلامه النفسية.

تعقيب: نظرية الكندي في علاج الحزن.

إن الكندي ينصح بمحاولة اكتساب النفس الخصال الحميدة على التدريج،وهو أسلوب إسلامي في علاج كثير من الأمراض المستعصية،ولنا في الخلاص من الخمر خير دليل وشاهد على نجاح هذه الطريقة .

وهذا الفيلسوف يري أن نبدأ بتعويد النفس المحامد السهلة البسيطة،ثم يأتي بعد ذلك الخصال الحميدة في الأمور الأصعب، ونستمر في هذا التدرج حتى تكتسب النفس من الصفات الحميدة ما هو أصعبها وأشدها وأعلاها،إذ يقول في ذلك:"إصلاح النفس إنما هو بقوة العزم على المصلح لنا، لا بدواء مشروب، ولا بألم حديد ولا نار،ولا بإنفاق مال، بل بالتزام النفس العادة المحمودة في الأمر الأصغر الذي لزومه سهل علينا،ثم نرتفع من ذلك إلى لزوم ما هو أكبر منه، فإذا اعتادت ذلك نرقي بها إلى ما هو أكبر من ذلك في درج متصلة حتى نلزمها العادة في لزوم الأمر الأعظم كلزوم العادة لها في لزوم الأمر الأصغر، فإن العادة تسهل بما وصفنا، ويسهل بذلك الصبر على الفانيات والسلوة على المفقودات" (١).

ثم يبدأ الكندي في ذكر الأساليب والطرق التي يدفع بها الأحزان وهي:

١- أن نتدبر أمر الحزن ونقسمه إلى نوعين:

---

(١) رسالة الكندي " في الحيلة لدفع الحزن " ضمن رسائل فلسفية تحقيق/ عبد الرحمن بدوي، ص ١٢.

الأول : حزن يرجع إلى أنفسنا، ويتوقف أمره على إرادتنا؛ لكونه فعل نقوم به. الثاني: حزن يرجع إلى إرادة الغير؛ لكونه محصلة فعل يقوم به، فأما الأول فبإمكاننا التخلص منه بسهولة ويسر، عن طريق التخلي عن هذا الفعل المحزن وتجنبه .

وأما الثاني: فإما أن نستطيع التوقي منه أو لا نستطيع، فإن استطعنا فلنحتمي منه حتى لا يسبب لنا الأحزان،وإن لم نستطع، فليس من حقنا وينبغي أن لا نحزن قبل وقوع وحدوث الفعل؛ لأنه ربما تخلف الفعل ولم يقع، فإذا وقع الفعل وأدى إلى حزننا، فمن الواجب علينا.

٢ – يجب أن نتذكر ما وقع لنا في الماضي ولغيرنا من أحداث محزنه، وما آلت إليه من السلوة والنسيان؛ فهذا يهون علينا وطئة الشعور الحاضر، ويمدنا بقوة على الصبر والسلوان عما نلاقيه (١) .

٣ – ليس كل شيء ينبغي أن نحزن عليه؛ لأن جميع الأغراض المشتركة بين الجميع ويمكننا الحصول عليها، لسنا بأحق بها من غيرنا، وغالبًا الأسبق هو من له الغلبة في الحصول عليها، أما ما يخصنا،ولا يشاركنا فيه أحد، ولا يملكه غيرنا،فهي الخبرات النفسية" فهذه هي التي لنا العذر في الحزن عليها إن فقدناها من أنفسنا،فأما ما ليس لنا إلا بالتغلب فليس يحسن بنا الحزن عليه؛ لأن من حزن على أن لا يملك الناس ما لهم أن يملكوه بالطبع فهو حسود فينبغي لنا أن لا نعرف

(١) المرجع السابق، ص ١٤، ١٥.

أنفسنا بالحسد إذ هو أكمل الشرارات".

٤ – ومما يجب أن نتذكره ولا يغيب عن خاطرنا، أن كل ما نملكه إنما هو عارية لمعير هو الله –جل ثناؤه– ومن حقه أن يسترد عاريته متى شاء،ولا يحق لنا أن نحزن متى استردت هذه الأمانة، وينبغي أن لا نأسى على فقد ما ارتجع منا، بل يجب أن نفرح؛ لأن الله–تعالى– لم يسترد منا أنفس ما أعارنا، وهو الخيرات الروحية، بل استرد الأقل الأخس، وهو ما نمتلكه من الأمور الدنيوية الفانية الخارجة عنا، وهذا ينبئ عن تكريمه لنا وإيثاره إيانا (١).

٥ – ينبغي أن يكون منا على بال أنه إن كان واجب أن نحزن على المفقودات و الفائتات فواجب أن نحزن أبدًا و وفي الوقت نفسه واجب أن لا نحزن البتة، فهذا تناقض فاحش؛ لأنه إن كان علة الحزن فقد القنيات الخارجة عنا، فإنه إذا لم تكن لنا قنيات خارجية لن نحزن، لأننا لننفقدها مادمنا لم نملكها، وإذن علينا ألا نملك شيئًا حتى لا نفقده في كون فقدانه مسببًا للحزن .

٦ – علينا أن نتذكر أن الله لم يخلق مخلوقًا دون أن يزوده بما يحتاج إليه، إلا الإنسان؛ لأنه وقد زود بالقوة التي بها يسيطر على الحيوان ويحكمه ويوجهه، فإنه يجهل أن يحكم نفسه، وهذا دليل على نقص العقل، وحاجة الإنسان لا تنقضي، مما ينشأ عنه الحزن والهم، ولهذا فإن من يهتم باقتناء ما لا يملك من الأشياء الخارجة عنه لا تنقضي غمومه وأحزانه.

---

(١) المرجع السابق، صـ١٨،١٧.

وحال الناس في عبورهم في هذا العالم الفاني حال خداعة، تشبه حال أشخاص أبحروا في سفينة إلى مكان هو مقامهم، فاقتادهم الملاح إلى مرفأ ألقى فيه مرساته للتزود بالمؤونة، وخرج الركاب للتزود ببعض الحاجات، فبعضهم اشترى ما يحتاج إليه وعاد إلى السفينة، وشغل مكانًا مريحًا فيها، والبعض الآخر لبثوا لمشاهدة المروج ذات الأزهار اليافعة والروائح الطيبة، ووقفوا يستمعون إلى الأطيار، ثم لم يجاوزوا مكانًا قريبًا من السفينة، ثم عادوا إليها بعد أن أشبعوا حاجاتهم، فوجدوا أيضًا أماكن مريحة فيها، وفريق ثالث انصرف إلى جمع الأصداف والأحجار، وعادوا مثقلين بها، فلما عادوا إلى السفينة وجدوا من سبقوهم قد احتلوا الأماكن المريحة، فاضطروا إلى شغل أماكن ضيقة، واهتموا بالمحافظة على الأحجار والأصداف التي جمعوها، مما أوقع الهم في نفوسهم، وفريق رابع وأخير توغلوا في المروج والغابات، ناسين سفينتهم ووطنهم، وانهمكوا في جمع الأحجار والأصداف والأزهار، ونسوا وطنهم والمكان الضيق الذي ينتظرهم في السفينة، ونادى الملاح على المسافرين، فلم يستطع هذا الفريق الأخير سماع ندائه، ورفع المرساة تاركًا إياهم معرضين للأخطار القاتلة: فبعضهم التهمته الوحوش الكاسرة، والبعض غار في الهُويّ، وساخ بعضهم في الطين، وبعضهم عضته الأفاعي، وهكذا صاروا جيفا نتنة .

وهذا المثل ينطبق على حالنا في هذه الدنيا، فعلينا ألا نشغل بما يؤدي إلى الأحزان من جمع القنيات والانعكاف على الشهوات، حتى نستطيع أن نجد مكانًا فسيحًا في السفينة التي ستقلنا إلى الوطن الحق، وهو الآخرة أو ما يطلق عليه

الكندي "العالم المعقول".

٧ – ينبغي علينا ألا نكره ما ليس رديئًا، وأن نكره ما هو رديء، فهذا من شأنه أن يحمينا من كثير من الأشياء الحسية المحزنة، فمثلًا: نحن نعتقد أنه لا شيء أسوأ من الموت، لكن الموت ليس شرًّا، وإنما الشر هو الخوف من الموت؛ لأن الموت تمام لطبيعتنا، وبدون الموت، لن يوجد إنسان أبدًا؛ لأن تعريف الإنسان هو أنه حيوان عاقل فلو لم يكن موت ، لم يكن إنسان، لأنه إن لم يمت، لم يكن إنسانًا، ولخرج عن طبيعة الإنسان، والأمر السيئ هو ألا نكون ما نحن إياه، وبالتالي الشيء السيىء هو ألا نموت، وإذن فالموت ليس بشر، يقول الكندي:" ينبغي أن يكون منا على بال أنه لا ينبغي أن نكره الّذي ليس برديء وإنما ينبغي أن نكره الرديء فإن نكره الرديء فإن ثبت فيذكرنا عظمة عناياته في دفع المحزنات الحسية فإنه لا نظن أن شيئا أردا من الموت و الموت ليس برديء إنما خوف الموت رديء فما الموت فهو تمام طباعنا".

٨ – ومما يدفع الحزن عن الإنسان، تعديد ما بقى له من خيرات وممتلكات ، فإن في ذلك ترويح عن الروح، ومحاولة بث روح الأمل والطمأنينة في النفس، يقول الكندي:"ينبغي أن يكون منا على بال عند كل فائدة و معدوم، ما بقي لنا من قنياتنا الحسية و العقلية و أن نتشاغل بذكرها و تعديدها عن السالفة فإن في تذكر الباقي سلوة من المصائب".

٩ – إن الإنسان، من دون سائر الكائنات الحية، يريد اقتناء أشياء كثيرة

ليست ضرورية في إقامة ذاته وصلاح عيشه، وإن جميع هذه الأشياء تسبب له الهم في طلبها، ومع كل فائت حسرة وأسف، ومع ترقب كل معدوم حزن وقلق [١] .

ومن حكم الكندي: أن من ملك انفعالاته وتصرفاته ولم يهتم بالأشياء الخارجة عنه، يملك ما يستعبد الملوك، ويستطيع أن يتغلب على قوى الشر في نفسه .

نستطيع أن نقول وبكل جدارة، أن الكندي وهو أحد فلاسفة وحكماء المسلمين، قد امتاز في تحليل وتشخيص شعور الحزن، وتفوق في بيان أسبابه ودوافعه، وبرع في وضع العلاج وبيان طرق وأساليب الخلاص من هذا الانفعال.

(١) المرجع السابق، صـ٢٢؛ تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، صـ٢٢٦.

الخاتمة

نتائــج البحـــث وفوائـــده

بعد عرض هذا الموضوع، ومعالجة قضاياه في ضوء وضوح الأفكار، وتسلسلها وترابطها، فإنه يمكن التوصل إلى النتائج العامة التالية:

١ - الحزن شعور انفعالي، وعرض جبلي فطري ينتاب الإنسان عندما يغالب صروف الحياة ومحنها .

٢ - يرد الحزن بمعاني مختلفة وحقول دلالية متنوعه، وهذه الحقول حسب قوتها وعمقها، وتأثيرها في النفس، من الأدنى إلى الأعلى، الحزن، البؤس، الأسى، الغم، الكرب، الكمد، الكآبة، الهم، البث، الأسف.

٣ - إن حوافز وبواعث الحزن قد تكون مستقرة ومتوطنة أي: باطنية المنشأ وليس لها محفز ظاهر، وقد تكون خارجية ظاهرة ومحسوسة.

٤ - لما كان الحزن من عوارض الطريق، وليس من مقامات الإيمان، ولا من منازل السائرين، لم يأمر الله به في موضع قط ولا أثنى عليه، ولا رتب عليه جزاءً ولا ثوابًا بل نهى عنه في غير موضع؛ وذلك لأنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة فلا فائدة ولا مصلحة فيه للقلب، فهو يضعفه، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، ومالا فائدة ولا مصلحة فيه لا يأمر الله به، ولكن النهي

الوارد في الحزن ليس نهي تحريم؛ لكونه من عوارض الطبيعة البشرية، وخارج عن سلطان المرء، والشرع لا يكلف مالا يطاق، فلا يكون محرمًا ما دام مقتضاه صحيحًا.

٥ – للحزن أعراض وجدانية، وأخرى ذهنية، وثالثة بدنية، أما الأعراض الوجدانية فإن المصاب غالبًا ما ينعزل عن المجتمع ويلجأ إلى كهفه المظلم، لتلازمه الكآبة، وتفارقه السعادة والابتهاج، وفي هذه الحالة يغالبه الشعور بدنو الأجل، والدخول في دائرة اليأس من رحمة الله، وعندها ينهال بالبكاء بدون أسباب ودواعي، وهذه المرحلة يسميها علماء النفس "بالاكتئاب" وهي مرحلة متقدمة من الحزن.

٦ – أما الأعراض الذهنية، فشرود الذهن، وعدم التركيز، وسبق الوهم إلى العكس – بالفهم الخاطئ لمراد الآخر، والإصابة ببعض الأفكار الخاطئة، والشكوك المرضية – وأبرز هذا النوع سيطرة النفس اللوامة عليه في كل صغيرة وكبيرة، وبدرجة شديدة تعوقه عن ممارسة حياته الاجتماعية.

٧ – أما الأعراض البدنية فأشدها وطئة على المصاب بالحزن، فقدان الشهية للطعام والشراب، ومن ثم الشعور بآلام متفرقة في الجسد، وفي هذه الحالة نجد طائفة من الناس تخلد إلى نوم عميق، وسباط طويل على غير الطبيعي، وكأن هذا الحزن يتفاعل مع البدن كتفاعل المواد الكيمائية المهدئة والمنومة والتي تثبط الجهاز العصبي المركزي، وطائفة أخرى يعانون من الأرق وعدم النوم،

وكأن الحزن يعمل على إطلاق بعض المواد المنبه – من خلال الجهاز العصبي والمخ – تؤدي بدورها إلى الإحساس باليقظة.

٨ – إن من مميزات وخصائص المصطفى -ﷺ- أنه جمع بين النبوة والحكمة، فهو نبي طبيب، لهذا كان علاج الحزن في الإسلام بنوعين من الدواء:

الأول : معنوي روحي، وذلك بالنصح والإرشاد، ومحاولة رفع معنويات المصاب، وتقوية نفسه، بعبادات تبعث الطمأنينة في النفس، فينشرح الصدر ويأنس الفؤاد، وينفرج الهم والغم.

الثاني : ترياق حسي مادي له القدرة على إزالة الحزن والأسى، وتثبيت دعائم السرور والبهجة وهو الترياق النبوي المعروف باسم "التلبينة".

٩ – إن علماء المسلمين أكثر براعة في تحليل شعور الحزن، ومعرفة أسبابه وأعراضه، وأنجح في اختيار الأساليب الفعالة في التغلب عليه وتخفيف وطأته.

النتيجة النهائية: الحزن من المشاعر السلبية، والانفعالات الضارة التي تؤثر على حياة الإنسان، له أسباب وأعراض، لا يستحسنه الإسلام، وللشرع الشريف دور فعَّال في علاجه من خلال نصوص الوحي الشريف، فلها بالغ الأثر على مشاعر الإنسان ونفسيته، وتعديل سلوكه.

فهــرس المراجــع والمصــادر

- أ -

١ - إحياء علوم الدين، الإمام/ أبي حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي (المتوفي سنة٥٠٥هـ) دار المعرفة، بيروت- لبنان.

٢ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الإمام/ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر(المتوفى سنة٤٦٣هـ)تحقيق/ علي محمد البجاوي،الطبعة الأولى سنة١٤١٢هـ- ١٩٩٢م،دارالجيل،بيروت.

٣ - الإصابة في تمييز الصحابة،الإمام/ أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعي(المتوفى سنة٨٥٢هـ، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،الطبعة الأولى سنة١٤١٥هـ،دار الكتب العلمية،بيروت - لبنان.

٤ - الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي(المتوفى سنة١٣٦٩هـ) الطبعة السابعة مايو سنة ١٩٨٦م، طبعة دارا لعلم للملايين.

٥ - أعلام الفكر الإسلامي، الدكتور/ عثمان أمين، طبعة ستة١٩٩١م، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

٦ - إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان الإمام/ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفي سنة٧٥١هـ) تحقيق/ محمد عزير شمس، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢هـ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

٧ - أمراض القلوب وشفاؤها، شيخ الإسلام / تقي الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي (المتوفى سنة٧٢٨هـ) الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

٨ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير،جابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري(المتوفي سنة ٢٠١٦م)الطبعة الخامسة سنة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م،مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية

- ب-

٩ - بحر العلوم،الإمام/ علي بن يحيى علاء الدين السمرقندي القرماني (المتوفى سنة ٨٨٠ هـ) تحقيق الشيخ/ على محمد معوض والشيخ/ عادل أحمد عبدالواد والدكتور/ زكريا عبد المجيد النوتي، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

١٠ - البداية والنهاية، الإمام/ أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(المتوفى سنة ٧٧٤هـ) تحقيق الدكتور/ أحمد عبد الوهاب فتيح، الطبعة السادسة سنة١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م ، دار الحديث، القاهرة؛ والطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي، تحقيق/ علي شيري.

- ت-

١١ - تاج العروس من جواهر القاموس، للعلامة محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق

الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي(المتوفى سنة ١٣٠٥هـ) تحقيق مجموعة من المحققين، طبعة دار الهداية.

١٢ – تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام الإمام / أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن فرج أبو جعفر المعروف بالذهبي (المتوفى سنة ٦٠١ هـ)، تحقيق الدكتور/ بشار عوّاد معروف، الطبعة الأولى سنة٢٠٠٣م، دار الغرب الإسلامي

١٣ – تذكرة الحفاظ، الإمام / أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن فرج أبو جعفر المعروف بالذهبي (المتوفى سنة ٦٠١ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان.

١٤ – تذكرة الموضوعات، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي (المتوفى سنة ٩٨٦هـ) ، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣ه، إدارة الطباعة المنيرية

١٥ – تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ/ محمد عبده، السيد محمد رشيد رضا، طبعة سنة ١٣٢٤هـ، مطبعة المنار.

١٦ – تاريخ بغداد، المؤرخ/ أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب (المتوفي سنة ٤٦٣هـ) تحقيق الدكتور/ بشار عواد معروف، الطبعة الأولى سنة١٤٢٢– ٢٠٠١م، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان

١٧ – تحفة الأحوذي، الإمام/ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى أبو

العلا (المتوفى سنة١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨ - التخلص من الاكتئاب، دوك تشيلدر، د. ديبورا وزمان، ترجمة/ عبير الدجاني، طبعة سنة ٢٠٠٧م، دار العبيكان.

١٩ - التصوف، ماسينيون ومصطفى عبدالرازق، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان.

٢٠ - التعريفات، الإمام/ علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني (المتوفى سنة ٨١٦هـ) ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٢١ – تفسير المنار، العلامة/ محمد رشيد رضا، طبعة سنة ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٢ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الإمام الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي(المتوفي سنة ١٤٣١هـ)، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م، دار نهضة مصر.

٢٣ - التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل المعروف بأبي منصور الثعالبي النيسابوري (المتوفي سنة ١٠٣٨م) تحقيق/ عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، الدار العربية للكتاب.

٢٤ – تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، العلامة/ أبو علي أحمد بن محمد بن

يعقوب الملقب بـابن مسكويه (المتوفى سنة١٠٣٠م) تحقيق / عماد الهلالي، الطبعة الأولى سنة ٢٠١١م ، منشورات الجمل ، بيروت – لبنان .

٢٥ – تهذيب الكمال، الإمام/ يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي (المتوفى سنة ٧٤٢هـ) المعروف بـالمزي ، تحقيق الدكتور/ بشار عواد معروف ،الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة .

٢٦ – التوقيف على مهمات التعاريف، العلامة/ محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المشهور بالمناوي (المتوفى سنة١٠٣١هـ) الطبعة الأولى سنة١٤١٠هـ –١٩٩٠م، دار عالم الكتب، القاهرة – مصر.

٢٧ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى سنة١٣٧٦هـ) تحقيق/عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى سنة١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.

– د –

٢٨ – الداء والدواء، الإمام/ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١ هـ)تحقيق/ محمد أجمل الإصلاحي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٩هـ ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

٢٩ – دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين بن محمد المختار بن

عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى سنة ١٣٩٣هـ) الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ- ١٩٦٩م، مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر.

٣٠ - ديوان حسان بن ثابت، تحقيق/ عبدأ.مهنا، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤ه،- ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٣١ - ديوان الخنساء، المكتبة الثقافية، بيروت – لبنان.

٣٢ - ديوان الخنساء "شرح ثعلب، تحقيق الدكتور/ أنور أبو سويلم، الطبعة الأولى ينة ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، دار عمار، الأردن– عمان.

٣٣ - ديوان العجاج، رواية عبدالملك بن قريب الأصمعي، تحقيق الدكتور/ عزة حسن، طبعة سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٥م،

٣٤ - ديوان المتنبي، طبعة سنة ١٤٠٣ - ١٩٨٣م، دار بيروت.

٣٥ - ديوان النابغة الذبياني، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر .

- ز -

٣٦ - زاد المعاد في هدي خير العباد، الإمام/ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١هـ) الطبعة السابعة والعشرون سنة ١٤١٥هـ -١٩٩٤ م، مؤسسة الرسالة، بيروت ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت .

-ر-

٣٧ - الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى سنة ٤٦٥هـ) تحقيق الإمام/ الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

٣٨ - رسالة الكندي" في الحيلة لدفع الحزن" ضمن رسائل فلسفية، جمع وتحقيق/ عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٣م، دار الأندلس، بيروت – لبنان.

-ج-

٣٩ - جامع البيان في تأويل القرآن، الإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبري(المتوفى سنة٣١٠هـ) تحقيق/ أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة، مصر.

٤٠ - جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير، العلامة/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي(المتوفى سنة٩١١هـ) طبعة سنة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، الطبعة الأزهرية، دار السعادة، مصر.

٤١ - جامع الأصول في الأولياء"الطرق الصوفية"، أحمد بن مصطفى ضياء الدين الكمشخانوي الحنفي النقشبندي الخالدي (المتوفى سنة ١٣١١هـ) تحقيق/ اديب نصر الدين، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت – لبنان.

-ح-

٤٢ - حاشية العلامة مصطفى العروسي المسماة: نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي(المتوفي سنة ٩٢٦هـ) تحقيق الشيخ/ عبدالوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٤٣ - الحزن الخبيث، لويس ولبرت، ترجمة/ عبلة عودة، مراجعة د/ أحمد خريس، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م،هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة.

٤٤ – الحزن والاكتئاب يؤديان إلى موت خلايا الدماغ " الدكتور/ مانيو وافي، بتاريخ الجمعة١٤/ ١٠/ ١٤٢٥هـ- الموافق ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٤م(الجزيرة نت: www.aljazeera.net).

٤٥ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى سنة ٤٣٠هـ) طبعة سنة١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، دار السعادة، مصر.

- س-

٤٦ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني الأرناؤوط المعروف باسم محمد ناصر الدين الألباني (المتوفي سنة ١٤٢٠هـ) الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ-

١٩٩٥م، مكتبة المعارف، الرياض.

٤٧ - سنن الترمذي،، الإمام/ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (المتوفى سنه ٢٧٩هـ) تحقيق/ إبراهيم عطوة، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م، طبعة الحلبي، مصر.

٤٨ - سيرة أعلام النبلاء، الإمام/ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (المتوفى سنة٧٤٨هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقوسى، الطبعة السابعة سنة ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، والطبعة الثالثة سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

- ش-

٤٩ - شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى سنة ١٤٢١هـ) طبعةسنة ١٤٢٦هـ، دار الوطن، الرياض- المملكة العربية السعودية.

٥٠ – شرح الكتاب المقدس – العهد الجديد – القمص تادرس يعقوب ملطي، .http://st-takla.org

٥١ - شرح منازل السائرين، عبد الرزاق جمال الدين أحمد كمال الدين ابن أبي الغنائم محمد الكاشاني أوالكاشي أو القاشاني (المتوفي سنة ١٣٣٠م) تحقيق/ محسن بيداء فر، مؤسسة التاريخ العبي، ودار حواء.

٥٢ - شرح منازل السائرين، عبدالمعطي بن محمود بن عبد المعطي ابن عبد الخالق،

ابن أبي الثناء اللخمي الاسكندري(المتوفي سنة ٦٣٨ ه)، طبعة سنة ١٩٥٤م، المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.

٥٣ - شرح منازل السائرين، محمود بن حسن الفركاوي القادري، طبعة سنة ١٩٥٣م، المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.

٥٤ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، الإمام/ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفي سنة ٧٥١هـ) طبعة سنة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

- ص-

٥٥ - الصحاح في اللغة، العلامة/ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى سنة ٣٩٣هـ) تحقيق/ أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، طبعة دار العلم للملايين - بيروت.

٥٦ - صحيح البخاري، الإمام/ أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦هـ) تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ ، دار طوق النجاة .

٥٧ - صحيح مسلم، الإمام/ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى سنة٢٦١هـ) تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

٥٨ – صفة الصفوة، الإمام/ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧هـ) تحقيق/ أحمد بن علي، طبعة سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ، دار الحديث، القاهرة– مصر.

– ط–

٥٩ – طبقات الأولياء، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى سنة ٨٠٤هـ)تحقيق/ نور الدين شريبه، الطبعة الثانية سنة ١٤١٥هـ–١٩٩٤م، مكتبة الخانجي، بالقاهرة

٦٠ – طبقات الصوفية،محمد بن الحسين بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري،السلمي(المتوفى سنة ٤١٢هـ) تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان؛ وطبعة الشعب، تحقيق/ أحمد الشرباصي، الطبعة الثانية سنة ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

٦١ – الطبقات الكبرى، عبد الوهّاب بن أحمد بن علي الأنصاري المشهور بـالشعراني (المتوفي سنة ٩٧٣هـ) طبعة سنة ١٣١٥هـ ، المطبعة العامرة، مصر .

٦٢ – طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنهوي(المتوفى في القرن ١١هـ) تحقيق/ سليمان بن صالح الخزي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية.

٦٣ - الطب من الكتاب والسنة، عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن أبي سعد المكنى بـموفق الدين(المتوفي سنة ٦٢٩هـ) تحقيق الدكتور/ عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الثالثة سنة١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار المعرفة، بيروت لبنان.

٦٤ - الطب النبوي، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى سنة٤٣٠هـ) تحقيق/ مصطفى خضر دونمز التركي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٦م، دار ابن حزم.

٦٥ - طريق الهجرتين وباب السعادتين، الإمام/ شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية(المتوفى سنة ٧٥١هـ) الطبعة الثانية سنة١٣٩٤هـ، دار السلفية، القاهرة، مصر.

- ع -

٦٦ - العين،العلامة/ الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبدالرحمن (المتوفى سنة ١٧٠هـ) تحقيق الدكتور/ عبد الحميد الهنداوي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م-٣١٣٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

- غ -

٦٧ - غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى سنة ٢٧٦هـ)، تحقيق/ أحمد صقر، طبعة سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دار الكتب

العلمية، بيروت – لبنان.

– ف –

٦٨ – فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ/ أحمد بن على بن محمد الكناني العسقلاني الشافعي، أبو الفضل شهاب الدين المعروف بابن حجر(المتوفى سنة ٨٥٢هـ) تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، طبعة سنة ١٣٧٩هـ، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

٦٩ – الفتوحات المكية، محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي(المتوفي سنة ٦٣٨هـ)تحقيق/ أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٧٠ – الفروق اللغوية، الأديب/ الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال (المتوفي بعد سنة٣٩٥هـ) تحقيق/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، مصر.

٧١ – الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى سنة ١٢٥٠هـ) تحقيق/ عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

٧٢ – فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن هارون، الملقب بصلاح الدين (المتوفى سنة ٧٦٤هـ) تحقيق/ إحسان عباس، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م،دار صادر،بيروت – لبنان

٧٤ - في الباطن والظاهر المسمى"جلاء الخاطر" الشيخ/ أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله، المعروف بعبد القادر الجيلاني (المتوفي سنة ٥٦١هـ) تحقيق/ خالد الزرعي وعبد الناصر سِرِّي، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م، دار ابن القيم.

٧٣ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري(المتوفى سنة١٠٣١هـ)تحقيق/ أحمد عبد السلام، الطبعة الاولى سنة ١٤١٥ه- ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٧٥ - في ظلال القرآن سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى سنة ١٣٨٥هـ)الطبعة السابعة عشر سنة١٤١٢هـ، دار الشروق،مصر.

- ق-

٧٦ - قاموس الكتاب المقدس، تأليف/ نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص من اللاهوتيين، الطبعة السادسة سنة ١٩٨١م، منشورات مكتبة المشعل، بيروت، لبنان.

- ك -

٧٧ - الكليات، العلامة/ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفي سنة ١٠٩٤هـ) تحقيق/ عدنان درويش ومحمد المصري، طبعة سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- ل -

٧٨ - لسان العرب، العلامة/ أبى الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(المتوفى سنة ٧١١هـ) الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م، دار صادر، بيروت.

- م -

٧٩ - مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى سنة ٩٨٦هـ)الطبعة الثالثة سنة١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

٨٠ - مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام / تقي الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي (المتوفى سنة٧٢٨هـ) تحقيق/ أنور الباز وعامر الجزار، الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، دار الوفاء.

٨١ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى سنة ٥٤٢هـ) تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٨٢ - المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس،أبو القاسم الطالقاني، المعروف

بالصاحب بن عباد (المتوفى سنة ٣٨٥هـ) تحقيق/ محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار عالم الكتب، بيروت- لبنان.

٨٣ - مختار الصحاح، للإمام/ محمد الرازي فخر الدين بن العلامة، ضياء الدين عمر، المشتهر بخطيب الري(المتوفى سنة ٦٠٦هـ) تحقيق/ يوسف الشيخ محمد، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ه، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت.

٨٤ - مختصر الشمائل المحمدية، الإمام/ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (المتوفى سنه ٢٧٩هـ) تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان-الأردن.

٨٥ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الإمام/ شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١هـ) تحقيق/ محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

٨٦ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الإمام/ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (المتوفى سنة٧١٠هـ) تحقيق/ يوسف علي بديوي، الطبعة الأولى سنة١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، دار الكلم الطيب، بيروت- لبنان.

٨٧ - المستدرك على الصحيحين، الإمام أبى عبد الله محمد النيسابوري المعروف بالحاكم (المتوفى سنة٤٠٥هـ) تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة

الأولى سنة ١٤١١ه– ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

٨٨ – المستشرقون، نجيب العقيقي، الطبعة الثانية سنة١٩٦٤م، دار المعارف، مصر)

٨٩ – المسند، الإمام/ أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني(المتوفى سنة ٢٤١هـ) تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.

٩٠ – المسيح مشتهى الأجيال منظور أرثوذكسي، الأنبا/ بيشوى، الطبعة الثانية سنة٢٠٠٧م، الناشر مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبراري ودير القديسة دميانة.

٩١ – معجم الحضارات السامية ،هنري. س. عَبّودي، الطبعة الثانية سنة ١٤١١هـ– ١٩٩١م،جروس برس، طرابلس – لبنان

٩٢ – معجم علم النفس والتربية،مجمع اللغة العربية،طبعة سنة ٢٠٠٣م، المطبعة الأمرية، مصر.

٩٣ – معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي،الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٦م، دار الطليعة، بيروت – لبنان.

٩٤ – المعجم الفلسفي، الدكتور/ جميل صليبا، طبعة سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، الشركة العالمية للكتاب، بيروت– لبنان.

٩٥ – المعجم الكبير، الإمام/ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (المتوفي سنة ٣٦٠هـ) تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

٩٦ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة سنة ١٣٦٤هـ، دار الكتب المصرية.

٩٧ – معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمسق (المتوفى سنة ١٤٠٨هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت– لبنان.

٩٨ – مفاتيح الغيب، الإمام/ محمد الرازي فخر الدين بن العلامة، ضياء الدين عمر، المشتهر بخطيب الري، (المتوفى سنة، ٦٠٦هـ) الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٩٩ – المفردات في غريب القرآن، الإمام/ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٢هـ) تحقيق /صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ،دار القلم والدار الشامية، بيروت – لبنان .

١٠٠ – المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي(المتوفي سنة ٦٥٦هـ) تحقيق الدكتور/ عبد الهادي النازي، الطبعة الأولى سنة١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الرباط – المغرب.

١٠١ – مقاييس اللغة،العلامة/ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (المتوفي سنة ٣٩٥ هـ) تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، طبعة سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، دار الفكر، بيروت – لبنان.

١٠٢ – الملل والنحل، الإمام/ محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح المعروف بالشهرستانى(المتوفى سنة٥٤٨هـ) تحقيق/ أمير على مهنا وعلى فاعور، طبعة سنة ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م، دار المعرفة، بيروت – لبنان

١٠٣ – منازل السائرين، الإمام/ أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن جعفر بن منصور الأنصاري الهروي (المتوفى سنة ٤٨١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

١٠٤ – مناهج البحث العلمي، الدكتور/ عبد الرحمن بدوى، طبعة سنة ١٩٦٣م، دار النهضة العربية، مصر.

١٠٥ – مناهج البحث الفلسفي، الدكتور/ محمد أحمد مصطفى السرياقوس، طبعة سنة ١٩٩٥م، دار الثقافة للنشر، القاهرة.

١٠٦ – مناهج البحث في علم النفس، الدكتور/ حلمي المليجي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م، بيروت – لبنان.

١٠٧ – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام/ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى النووي (المتوفى سنة٦٧٦هـ) الطبعة الثانية سنة١٣٩٢هـ، دار

إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.

١٠٨ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية،شيخ الإسلام / تقي الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي (المتوفى سنة٧٢٨هـ) تحقيق/ محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

١٠٩ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى سنة ٩٢٣هـ) المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

١١٠ - الموسوعة الثقافية للأعلام، إشراف الدكتور/ حسين سعيد، طبعة سنة١٩٧٢م، طبعة دار الشعب.

١١١ - موسوعة الفلسفة، الدكتور/ عبد الرحمن بدوي(المتوفي سنة ٢٠٠٢م) الطبعة الأولى سنة١٩٨٤م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر

- ن-

١١٢ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري(المتوفى سنة ٥٧٧هـ) تحقيق/ إبراهيم السامرائي، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن

١١٣ – النهاية في غريب الحديث والأثر، الإمام/ شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى سنة٨٣٣هـ) تحقيق/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، طبعة سنة١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان.

- و -

١١٤ - وسائل الشيعة(آل البيت) أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن علي الحر العاملي (المتوفي سنة ١٠٣٣ ه) تحقيق/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية سنة١٤١٤هـ، مؤسسة آل البيت، قم- إيران.

١١٥ - وفيات الأعيان، الإمام/ شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان الأربلى الشافعي(المتوفى سنة٦٨١هـ) تحقيق/ إحسان عباس، الطبعة الأولى سنة ١٩٠٠م، دار صادر، بيروت - لبنان.

فهرس الموضـــــوعات

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة:	
التمهيد :ماهية الحزن وتفصيل أوصافه.	
المبحث الأول: تعريف الحزن لغة واصطلاحًا.	
أولًا: تعريف الحزن لغة:	
ثانيًا: تعريف الحزن اصطلاحًا.	
الحزن في علم النفس.	
حقيقة الحزن عند الصوفية.	
تعريف الفلاسفة للحزن.	
المبحث الثاني: تفصيل أوصاف الحزن.	
أولًا: الهم.	
ثانيًا: الغم.	
ثالثًا: الكآبة.	
رابعًا: الأسف.	
خامسًا: الأسى.	
سادسًا: الابتئاس.	
سابعًا: الكرب.	

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
ثامنًا: الكَمَدُ.	
تاسعًا: البث.	
الفصل الأول: أسباب ودوافع الحزن، وموقف الإسلام منه	
المبحث الأول: أسباب ودوافع الحزن.	
أولًا: الأسباب المستقرة والمتوطنة.	
ثانيًا: الحافز والمثير الخارجي.	
المبحث الثاني: موقف الإسلام من الحزن.	
الفصل الثاني: أعراض الحزن وآثاره، وعلاج الإسلام له	
المبحث الأول: أعراض الحزن وآثاره.	
الأعراض الوجدانية، الأعراض الذهنية، الأعراض البدنية.	
المبحث الثاني: علاج الإسلام للحزن.	
القسم الأول: استخدم الإسلام فيه دواء معنوي روحي	
أولًا: آيات وأحاديث الإيمان بالقدر.	
ثانيًا: مفهوم ودور الأحزان في الإسلام.	
مراتب الحزن ومكانته عند الصوفية.	
ثالثًا: الأدعية والتسابيح.	
القسم الثاني:العلاج بالترياق النبوي المعروف باسم "التلبينة".	

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
تعقيب: نظرية الكندي في علاج الحزن.	
الخاتمة: نتائج البحث وفوائده.	
فهرس المراجع والمصادر.	
فهرس الموضوعات.	